رواية

مذبحة فبراير

محمود الدموكى

مذبحة فبراير

لـــ

محمود الدموكى

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http://book-juice.com

مذبحة فبراير

المؤلف : محمود الدموكى

نشر في : ديسمبر٢٠١٤

إهـــــــــداء

شكرا لمن أحبّانى دون شرط .. أبى وأمى ، شكرا لمن اهتم بى وساعدنى .. أستاذى بدر ، شكرا لأشخاص مروا بحياتنا ، أعطوا لنا الكثير من السعادةِ ، أينما يكونوا أتمنى لهم الخير ..

شكرا لكل شيء على أى شيء

" الصورة الجماعيه عادة ما يكون بها شخص مفقود ، دائما يتنازل عن مكانه ليلتقط الصوره .. تلك هى التضحيه "

السبت ١ فبراير 1995 :

محطة قطار مركز بلبيس بالشرقيه

العاشرة والنصف صباحا

لا صوت يعلو فوق صوت مواعيد إنطلاق الرحلات وصريخ أجراس القطارات ، مزعجٌ هو ذاك الصوت ، وعلى الرغم من ذلك لا أحد يستمع إليه أو يتزعج منه فالكل فى هذا التوقيت منشغلٌ بالتفكير فيما هو مُقدم عليه .

هذه هى صبغة محطات القطار ؛ تجمع الألاف من البشر فى وقت واحد ولكل منهم ما يشغل باله .

فمنهم من هو ذاهب إلى القاهرة لزيارة أقاربه ومن هو ذاهب إليها لتلقى العلم فى الجامعات التى لا تتواجد فى بلادهم ومن هو ذاهب إلى العاصمة للبحث عن وظيفه مرموقه لا تتوفر فى محافظته النائيه المعدمة الموارد ..

تماماً مثل هذه الفتاة المرتبكة التى تجلس على أحد مقاعد الإنتظار فى المحطة ، فتاة فى العشرينيات من عمرها ، يُجذم كل من يراها فى حيرتها أثناء ترقبها لموعد القطار أنها المرة الأولى التى تدخل فيها هذه الفتاة محطةً للقطار ..

لو دققوا قليلا لعلموا أنها المرة الأولى التى تخرج فيها هذه الفتاة الريفية من قريتها ؛ إنها " شمس " ..

" شمس مرزوق العنانى " .. اسم دائما ما ارتبط بالجمال أينما كان ؛ فأينما حل لا يأتى إلا بالخطّاب من كل حدب وصوب

أنّى لفتاة ذات قوام ممشوق ووجه قمحاوى اللون بعينين بنيتين وعلى ظهرها تنساب خصلات شعرها ألا تجذب كل شباب مركز " بلبيس" بمحافظة الشرقيه !!

" فاكهة القريه " هكذا لقبها كل من فُتن بها وسعى فى الإقتراب منها والتودد إليها ؛ جُلهم لا يعلم ما تخفيه صاحبة هذا الجسد من حزن وأسى وهموم ؛ فلو أظهرت نصف أحزانها لاختفى جمالها .

" من يشترى قَدرى ؟؟ " ، بهذا تمتمت شمس المفعمه بالهموم بعد أن ركبت القطار وجلست فى المقعد المجاور للنافذة فى العربة الرابعه .

هى لا تعلم أن القدر قد سمع ما تمتمت به أثناء غضبها فأقسم أن يعاقبها على سخطها منه وتفريطها فيه فرتب لها موعدا عصيبا مع الحياة ، ولا أفلح من تحالف ضده الحياة والقدر !!

فالقدر سيد الحياة . هو من يُسيّرها ؛ هو من كتب لها صحيفتها كما كتبها للبشر وتحالفها معه هو تحالف إجبارى لا دخل لها فيه ولا تمتلك حق الإعتراض..

" نحن لا نختار أقدارنا بل هى التى تختارنا " هكذا حدثتها نفسها ؛ لكن القدر لم يسمعها هذه المره فقد كان منشغلا فى عقد الصفقة ..

لم تكن شمس فى هذا القطار قاصدة التنزه أو زيارة أحد أقاربها الذين يسكنون فى القاهره ؛ بل كانت ذاهبة للعمل الذى تحلم به كى تساعد أسرتها .

فقد وهب لها القدر أسرة من أب وأم وأربعة أشقاء " ولدين وبنتين " ، كانت هى المولود الثالث بينهم ، وكانت أسماؤهم جميعا تبدأ بحرف الشين فكانت هذه هى عائلة الشين " شوقى ، شكرى ، شمس ، شروق "

أبوها الشيخ " مرزوق " رُزق بها بعد شهرين من ذاك الحادث الذى أطاح بقدمه اليسرى وأقعده فى بيته وهو فى السابعه والثلاثين من عمره !!

ففى أحد الأيام إستيقظ كعادته فى السابعه وهمَ بالذهاب إلى عمله بعد أن قبل بطن " نعمه " والدة شمس التى كانت المعنيه بهذه القبله . فقد كان يتمناها أنثى بعد أن أعطاه الله ولدين متتاليين هما " شكرى " و " شوقى "

خرج من بيته قاصدا مكان عمله وركب " أوتوبيس " النقل العام كغيره من ملايين هذا البلد ، فهذا هو " الأوتوبيس " الرسمى للغلابه ؛ وأثناء نزوله لم يتوقف له السائق فاضطر إلى القفز منه أثناء سيره ، فوقع على رجله فى وسط الطريق لتلقفه أحد السيارات المسرعه ويمر سائقها بعجلة السياره على قدم مرزوق اليسرى ليدهسها فى الحال ..

وبعد ساعات تسمم جرحه فأُجبر الطبيب على بترها حتى لا ينتشر السم فى جميع أجزاء جسده ؛ لتنتهى بذلك قصة مرزوق مع الشارع الذى ظل سجين البيت حتى أخر يوم فى حياته .

كانت هذه الحادثه بمثابة نقطه فاصله فى حياة شمس حتى وإن كانت حدثت قبل مولدها بشهرين ؛ فهو الان وبعد ولادتها لا يستطيع أن يلعب معها أو يدللها أو يهتم به كما يفعل الأباء مع أبنائهم ، أنّ له ذلك وهو لا يستطيع التحرك من مكانه !!

ليس هذا فقط ، بل انه أيضا قد إنقطع مصدر الرزق وانقطع العائل الوحيد للعائله بعد الله عزوجل ؛ اللهم إلا المعاش المبكر الذى كان يتقاضاه وهو ٢٠٠ جنيه .

كانت هذه الأموال تساعدهم بعض الشيء خاصة إذا ما أضيف لهم الخمسمائة جنيه التى كانت تحصل عليهم الأم " نعمه " نظير عملها كممرضه فى مستشفى القريه الحكومى ؛ حتى وإن كان هذا يمنعها من التواجد أكثر فى بيتها بسبب ظروف عملها التى تجبرها على التواجد فى التوقيت الذى يريده الطبيب ، لكن القدر كان له كلمة أخرى أيضا .

أثناء ولادة " نعمه " الرابعه باغتها الموت ؛ فماتت بعد أن أنجبت أصغر أبنائها " شروق " ، التى إتخذت من شمس أماً لها .

تركتها وهى ذات اليوم الواحد فى الحياة لتصبح شمس بعد ذلك هى أمها ؛ ولكن كيف تشعرها بالأمومه وهى التى لم تشعر بها يوما من الأيام

فقد كانت شمس حين توفت والدتها فى الصف الثانى الإعدادى ؛ فى أوج إحتياجها إلى حنان االأمومه التى خطفه منها الموت ؛ تركتها والدتها وهى مقدمة على مرحلة المراهقه .. تلك المرحله التى إستأثر بها " حسن " جارها وعشيقها منذ الطفوله .

كان عمرها إثنا عشر عاما حين قال لها أحبك لأول مره ؛ لم يكن يوما إعتياديا فى مركز" بلبيس " فها قد وُلد من إستطاع أن يكسر العادات والتقاليد

قال لها أحبك وهما فى الصف السادس الإبتدائى ، عبر عن ما أملاه عليه قلبه فى الحصة الثالثه من ذاك اليوم الدراسى ، كانت مصادفة أن تكون هذه الحصه هى حصة " الإملاء والتعبير " .

فبعد أن طلب منهم المعلم كتابة موضوع تعبير عن ما يخطر ببالهم نظر إليها ثُم كتب ما كان وسيظل نصرا للحب فى هذه القريه ؛ هو عيد الحب لديهم لأنهم لا يعرفون عيد الحب الذى يحتفل به العالم ؛ فقد كتب لها فى كراسته :

" يا أيتها الشمس التى أشرقت بقلبى ؛ أحبك من كل قلبى " ..

وأنهى كلامه بإمضائه " من حسن الراعى إلى شمس العنانى "

ثُم جمع المعلم الكراريس من التلاميذ لتصحيحها ليتفاجأ بكلمات حسن ؛ لكنه كان متفهما للموقف فضرب موعدا للمواجهه ؛ فبالطبع لم يكتب حسن هذه الكلمات له بل كتبها لشمس

.

فى اليوم التالى وأثناء التوزيع قام بشطب إسم حسن من على الكشكول وكتب بدلا منه شمس العنانى ثم نادى " شمس العنانى " فاخذت منه الكراسه لتقرأ فيها ما كان مُدخلا للحب ؛ لم يتسَلم حسن كراسته فتفهم الأمر وعلم بما فعله المعلم ليبدأ حديثُ القلوب بين شمس وحسن

.

كان الرد هو تلك الإبتسامة التى عُرف عنها أنها تصريحاً بالقبول للعروض التى لا يتاح للمعروض عليهم وقتها الرد .. إنها إبتسامة الراحة والإرتياح .

لم تكن شمس وقتها تعرف معنىً للكتمان فصارحت أمها بما حدث فقالت لها " إستفت قلبك " ؛ ولكن قلب طفلة فى الثانية عشر لم يكن ليعطيها تصريح بالحب بيدَ أن الأيام إقتادتها إليه حتى أصبح حسن وشمس هما فارسا الحب فى القريه .

ما أجمل أن تبوح دائما بما فى قلبك ، الجرأة فى العواطف واجب ذاتى ، لا تكن وقحاً ولكن كن جريئا ، فهناك فرق

مرت عشر سنوات على حبهما ولم يأتيا بجديد ، لم تتطور علاقتهما كما هو المعتاد ، لم يتزوجا ولم يعيشا فى بيت واحد !! فبدأت ألسنة الناس فى ممارسة عادتها المفضله .. " القذف "

خطر فى بالهم أنهما قد وقعا فى الخطيئة أو أن كل واحد منهما قد أخذ ما كان يريده فى فترة الخطوبه ، لم يخطر فى بالهم الظروف الماديه !!

الماديات .. كم هدمت من الأسر وكم منعت من علاقات مشروعه وكم حرمت الأحباء من الإرتباط !! ، لكن حسن لم يستسلم لها ..

وقتها قرر حسن السفر إلى الخليج .. تذكرت شمس ذاك اليوم الذى عزم على السفر فيه وكم كان صعبا عليها أن تُحرم منه ومن رؤيته

كان لقاء الوداع لقاءاً عاطفيا بإمتياز ؛ زاد من حميميته وصعوبته على شمس أن حسن قد إصطحب " شوقى " الأخ الأكبر لشمس معه .

" شوقى والشقاء " هذا هو التلخيص الأمثل لحياة شوقى ؛ فقد كان الطفل الأول لمرزوق ؛ أمهله القدر عشرة أعوام فى سعاده ثُم باغته بحادثة قطع قدم أبيه ومن بعده موت أمه .

" شوقى الخطيب " هكذا كان يناديه كل شباب القريه ، فقد كان لاعب كرة ممتاز وكان حلمه اللعب فى نادى الأهلى وكانت لديه المؤهلات لذلك .

يوماً ذهب لأحد الإختبارات فى نادى الأهلى وأذهل المدرب والمراقبين وجميع الحضور وجذم الجميع أنه سينضم لصفوف الأهلى وفى أول تدريب له تعرض لإصابه فى قدمه اليمنى ليتغيب إسبوعين ومع عودته يفاجأ بإستغناء النادى عنه بسبب العرج الذى خلفته الإصابةُ فى قدمه .

تحطم شوقى بعدها .. فقد ضاع ما كان يحلم به طيلة حياته ؛ منّى نفسه باللعب فى المنتخب الوطنى ، لكن كيف وهو ما عاد يستطيع المشى دون راحة !!

حتى حب حياته " عفاف " قد تزوجت من أخر وتركته لأنه لا يستطيع أن يصرف على نفسه فكيف يصرف عليها ؟ ، لم يكن حبا حقيقيا إذا !!

" وكيف تحب من قضت حياتها فى الحقد وكره الأخرين " هذا ما قالته له شمس فى يوم زفافها .

فقد كانت " عفاف " تحقد على شمس كثيرا حينما كانا معاً أثناء المرحله الإبتدائيه ، أسواء الأخبار لديها هى أخبار تفوق شمس وحصولها على الدرجات العليا ، "حسن " أيضاً كان سببا فى هذا الحقد ، فقد كانت قصة حبه هو وشمس تأسر قلوب الجميع ، يتمنى كل من يسمع بها أن يكون فى مكانهما .

شاب أحب فتاه وصارحها وهما فى المرحلة الإبتدائية .. أمر لا يفعله إلا أبطال الحب كـــــ " حسن و شمس "

كانت شمس تُمنى نفسها براحة أبديه عندما يعود أخوها وحسن من الهجرة محملان بأموال الخليج الذى لا يسكنه إلا الأغنياء .. سيصيران أغنياء كأهل البلاد وسيعودان كأنهما رجلين من الخليج .

" مجرد حلم " تبخرمع تحرك الباخره التى أقلتهما إلا الكويت ؛ فبعد سفرهما بشهر واحد

إندلعت حرب الخليج بين العراق والكويت وأنقطع خبر شوقى ورشدى من بعدها حتى تواترت الأنباء بأنهما قد قتلا فى الحرب

كانت كل هذه الضربات كفيله بأن تسقط شمس لكنها تمسكت بشيئ من الأمل أعطته إياه تلك الورقة التى كتبها لها " حسن " منذ عشر سنوات فى حصة التعبير والإملاء ، تلك الحصه التى تعلمت فيها أعظم درس فى حياتها ، درس لم تفهمه بعقلها ؛ بل فهمته بقلبها إنه " درس الحب "

لكنها لن تقف هكذا مكتوفة الأيدى كالنساء الثكالى ، ستبحث عن عمل لائق يليق بذلك القدر الذى تمتلكه من العلم " هذا ما عاهدت نفسها به "

ولكن أى وظيفه فى هذه القريه تليقُ بشمس !؟ ؛ لابد وأن مكانها ليس هنا ، ستنزل إلى المكان الذى حلمت به كثيرا وسمعت عن أكثر ، المكان الذى يجمع المصريين من كل حدب وصوب ؛ المكان الذى لا يسأل الغريب عن سبب غربته ولا يسأله عن سبب إختياره له ؛ ستنزل إلى " القاهرة " ..

" القاهره هى العاصمه المنيره التى تعج دائما بفرص العمل كما انه يتوافر بها كل سبل الراحه والمعيشه والرفاهيه " هذا ما قاله لها عمها مسعود

فمسعود هو الشقيق الأصغر ل " مرزوق " والد شمس ؛ كان ولا يزال هو الفتى المدلل لعائلة العنانى ؛ كبر فى العمر حتى وصل إلى ٣٣ عام لكن عقله توقف عند الثامنة عشر ؛ وبالتحديد فى سن المراهقه .

عُرف بأنه أول من نزل إلى القاهره من مركز بلبيس .. كان عمره عندما فعل ذلك ٢٣ عام ، غاب تسعة سنوات وأنقطع خبره حتى ظن أهل القريه أنه قد مات .. وليته كان .

فقد عاد مسعود من القاهره بما أضاع هيبة عائلة العنانى وسط أهل القريه

عاد بالفضيحه ، فقد كان طوال هذه السنوات طبال لراقصه " صبى عالمه " فى أحد الكابريهات، ربما لم تكن هذه الفضيحه أشد من أن تكون هذه الراقصه " هوانم " هى زوجته ، هذا ما تنبأ به والده مذ رأه فى صغره يلهو ويجرى خلف بنات القريه ؛ كانت لعبته المفضله هى الكودشينه التى ارتبطت دائما بالمال .

هذا لا يشغل شمس كثيرا ؛ فهو كما أخبرها سيجد لها وظيفة محترمه تليق بها وتصون كرامتها .

" لو كان شيطانا وسيدلنى على الخير لاتبعته " هذا ما كانت ترد به على كل من حذرها منه ونصحها بالإبتعاد عنه

****

أن تضع ثقتك فى إنسان فهذا يعنى أنك تعطيه صلاحية تدميرك

واثقاً أنه لن يفعلها ، ولكنه يفعلها ...

كانت نهاية رحلة القطار عند شمس هو بمثابة إعلانٍ للنقضين ؛ ففى الوقت الذى هبطت فيه من القطار كانت تشعر أنها تصعد من الأرض إلى السماء ؛ من الفقر إلى الغنى ؛ من المشقة للراحه ..

أحلامها كانت ورديه ظنت أنه لا سقف يستطيع منع علو طموحها .. تماما مثل طالب الثانويه فى بداية العام ؛ يُمنى النفس بأعلى الدرجات ثم يسقط فى جب الظلمات

خطواتها كانت تدفعها دفعا للإمام وعيناها تستبق الزمان لتفحص كل تفاصيل المكان ، فاجأها الملبس والمسكن . وكأنها فجعت من حياة القاهره ..

جاء فى بالها أنها كانت تعيش فى عالم أخر؛ فإما مركز بلبيس ليس جزء من الأرض أو القاهره ليست جزء من الأرض .. رجحت الأولى

بجانبها مسعود الذى تظاهر أنه يعرف كل كبيرة وصغيرة فى القاهره ، ولكن الحقيقه أنه كان يسترق البصر أيضا لكل ما يحيطه ..

كانت كلما سألته عن شيء يتظاهر بأنه يعرفه ولكنه لا يتذكره الأن وفى بعض الأحيان كان يغالطها ويختلق شيئ لا أساس له من الصحه ليجيبها بها

أوقف مسعود تاكسى أبيض اللون وفتح الباب وأجلسها فى المقعد الخلفى وجلس بجانبها .

سألهما السائق عن المكان الذى يودان الذهاب إليه ؟

فتعثر مسعود فى قرأة العنوان ؛فما كان من شمس إلا أن إبتسمت وأخذت الورقه منه لتقرأ :

" الدور السادس ، العماره رقم ١٧ ، بجوار كافتيريا نعمه بحى العجوزه "

إنطلق السائق بعد أن قام بتشغيل المذياع الذى كان يحوى أحد أغانى أم كلثوم ؛ الأمر الذى أعجب مسعود ودفعه للدندنه والترديد خلف الأغنيه

أما شمس فقد تابعت رحلة الإستكشاف التى كانت قد بدأتها فى القطار ، وبقيت على وجهها علامات التعجب والإنبهار مما تراه !

أوقف السائق سيارته معلنا الوصول إلى العنوان المطلوب ؛ نزل مسعود من السياره لكن شمس لم تستطع أن تفتح الباب فأعلى مسعود صوته ضاحكا ساخرا وهمّ ليفتح الباب لها

دخلت شمس العماره يتقدمها مسعود الذى واصل تظاهره بدرايته بكل تفاصيل المكان ؛ الأمر الذى فهمته شمس من الوهلة الأولى

كانت شمس كلما سألت مسعود أثناء الطريق عن الوظيفه التى يقودها إليه كأن يطمأنها بكونها وظيفه جيده ومناسبه ، وعدها أكثر من مره بإخبارها ، قال لها فى القريه سأخبرك أثناء وجودنا بالمحطه وبالمحطه قال لها سأخبرك عندما نركب القطار وفى القطار قال لها سأخبرك عندما نصل وها هى قد وصلت ولم يخبرها بشيئ .

أقلقها الأمر وأصرت على معرفة الوظيفه التى هى مقدمة عليها وما نوعية الوظائف التى يمكن أن تتواجد فى عمارة ليس بها سوى شقق للسكن ! ، فما كان من مسعود إلا أن إستوقف شمس لدقائق على أحد درجات السلم ليشرح لها الأمر برمته قائلا :

- بصى يا ستى ؛ دى عيلة الدكتور عادل وهو دكتور أسنان ومراته مدام مريم محاسبه فى بنك وعنده أربع عيال :

شريف فى أولى طب

سلمى فى تانيه اعدادى

مروان فى خمسه إبتدائى

عيل صغير اسمه " شادى " لسه عنده ٣ شهور .

بتعيش معاهم جدتهم حكمت أم أبوهم

ليا واحد صاحبى إسمه " خميس " شغال تمرجى فى المستشفى مع الدكتور عادل كلمنى من أسبوع وقالى إن الدكتور عايز واحده كويسه تساعدهم فى شغل البيت وهيدوها مرتب كويس وقال لى انهم ناس محترمين وهايعملوكى كويس .

إستقبلت شمس كلمات مسعود كالصاعقه وقالت بصوت متحشرج يُظهر من الحسرة أكثر مما يخفى :

- خدامه يا عمى !؟

رد يواسيها ويراضيها :

- وماله يا بنتى الشغل مش عيب !!

ردت بعزة نفس واستعلاء :

- بنت مرزق العنانى تبقا خدامه !؟

قال لها يستهزأ منها :

- مرزوق أبوكى لو كان يقدر يقف على رجليه كان جه إشتغل خدام هو كمان

قالت وكأنها تستعطفه :

- بس انا متعلمه و ...

قاطعها وقال ساخرا :

- يعنى إنتى عملت ايه بعلامك ؟؟
- بس متوصلش لخدامه
- يا بنتى الشغل مش عيب
- وشكلى ايه قدام الناس ؟؟
- هو فيه حد شايف حاجه !! ؛ انتى هتقعديلك كم شهر هنا وهتعملى فلوس حلوه تنزلى بيها البلد ولا من شاف ولا من درى

- طب لما ارجع البلد ويسألونى كنت شغاله ايه فى مصر .. هقولهم ايه !؟
- محاسبه فى بنك
- إنته بتهذر !!
- أقولك ايه يعنى ؟؟ ؛ هو فيه حد بيسأل حد إنته جبت الفلوس دى منين !!
- طب إنته ليه مقولتليش إن أنا هاشتغل خدامه
- كنتى هترفضى

صمتت شمس ، فقطع مسعود صمتها قائلا :

بصى يا بنتى ، أنا أول ما نزلت مصر من عشر سنين كنت شغال " زبال " وكنت بتكسف قوى وكنت طالع فيها زيك كده لحد ما جه واحد صاحبى كان شغال معايا وقالى كلمه عمرى ما هنساها ؛ قالى :

" الغريب يعمل اللى هو عاوزه ومحدش هيركز معاه ولا هيسأله بتعمل كدا ليه ، طول ما هو غريب "

- يعنى ايه !؟
- يعنى يا بنتى مفيش حد هنا هيقولك انتى بتشتغلى خدامه ليه ولا هيسألك إنتى منين ولا أهلك مين ، هنا الناس بتلبس نضارات مبيشفوش بيها الحشرات اللى زينا .. " عيش نمله ، تاكل سكر " يعنى كله فى حاله

سرحت شمس قليلا فى ماضيها المرير وأيقنت أن القادم أمر لا محاله

يوما قال لها مدرس اللغه الأجنبيه وهى فى الصف الخامس الإبتدائى :

" ستكونين فخرا لكل أبناء مركز بلبيس "

" ليته الأن معى ليعلم ما أنا قادمة عليه ". هكذا حدثت نفسها

لم تلق اللوم كثيرا على هذا المعلم وعلى كلامته التى صعدت بها إلى السماء السابعه قبل أن تسقط صريعة الأحلام .

ضعيفة هى تلك الأحلام ؛ لا تأتيك إلا فى وقت غفلتك أو أثناء نومك ؛ لعلها كذلك كى تشككك فى تحقيقها وربما كى لا تستطيع أن تثبت أنها قد راودتك بالفعل ..

لو كانت حقا قابله للتحقق لأتتك فى عز إنتباهك ؛ وقتها قد تستطيع أن ترتب لها جيدا وتسعى جاهدا فى تحقيقها .

هزت شمس رأسها معلنة تفهمها لكلام مسعود الذى بدا جادا لأول مره فى حياته على غير عادته وهم ليدق جرس الباب .

هو لايعلم ان فتح هذا الباب يعنى فتح باب من أبواب جهنم على ابنة أخيه . الأمر الذى جهلته شمس وجهله من هم خلف الباب أيضاً . وحده القدر كان يعلم ما سيحدث وما ستاؤل إليه الأمور . لكنه أيضا ظل صامتا ليضرب للجميع موعدا مع المعاناة .

دق مسعود جرس الباب ليفتح له مروان الذى كان على علم بقدوم الخادمه فأعلى صوته قائلا:

- الخدامه الجديده جت يابابا

مسعود وقد أراد أن يداعب مروان :

- ما شاء الله نبيه أووى ؛ عرفت إزاى إن أنا الشغاله .. يووه .. قصدى اللى معايا الشغاله !!

نظر مروان إلى مسعود نظرة إزدراء وإحتقار ثم تركه وانصرف ؛ فهمس مسعود لشمس :

- ربنا يعينك يا بنتى دول شكلهم طالعين فيها وهيكفروكى

" مروان " هو الطفل الثالث فى هذه الأسره ، يدرس فى الصف السادس الإبتدائى ويعشق مادة العلوم ؛ عُرف عنه ذكاءه الشديد ولكنه مشاغب جدا ، يعانى من ذكام مستمر ويعشق إصليح الأجهزة الكهربائيه وأمنية حياته أن يصبح مخترعا كبيرا .

دفع مسعود الباب ودخل ليجد الدكتور عادل يتحدث فى هاتفه فأستغل ذلك لتفحص الشقه فى نظرة سريعة ربما تكون الأولى والأخيره

دكتور " عادل الشريعى " رجل طويل الوجه معتدل القامه مُحب لعمله ، عُرف عنه حب الخير ومساعدة الأخرين ، وعصبيته الشديده أيضا ، توفى والده وهو فى المرحلة الثانويه فلجأ إلى الإعتماد على نفسه حتى أصبح الطبيب الأشهر فى المنطقه ويمتلك عياده على أعلى مستوى .

أنهى عادل مكالمته وما لبث حتى باغت مسعود ناهرا إياه ومسائله :

- **إتأخرت كدا ليه يا زفت ؛ انا مش مكلمك من أسبوع !؟**

رد وقد ظهر عليه الإرتباك :

- **والله يا بيه عقبال ما أقنعت أبو شمس وبعدين قولت نكون أول الشهر ؛ شهر فبراير**
- **طيب خلاص خلاص .. (قالها وهو يضع يده فى جيبه)**

ثم قال وهو يشير إلى شمس :

- **هيا دى قريبتك اللى هتشتغل عندنا**
- **اه يا بيه ، طيبه ومطيعه وبتعمل كل حاجه**
- **أهم حاجه عندنا الأخلاق**
- **موجود يا بيه .. شمس دى أحسن بنت عندنا فى البلد**
- **هنشووف**

ثم قال وكأنه يتذكر شيئا :

- **بس والنبى يا بيه متخلوهاش تميل ع الأرض كتير علشان ظهرها بيوجعها وتعبانه من الغضروف**
- **لا ألف سلامه ..**

وقف مسعود وداعب شفتاه بيده قائلا :

- **طيب يا بيه يعنى أأأأ ... أأأ**

- عارف عارف ، عاوز فلوس طبعا

نظر إليه ثم ضحك قائلا :

- كلك مفهوميه يا بيه

وضع يده فى جيبه وأخرج خمس ورقات من فئة المئة جنيه فاقترب منه مسعود راكضا فى نفسه مدعيا اللامبالاة فى علنه

لا أحد يصمد أمام المال ، جمعهُ هواية عند الكثريين حتى ولو كانوا لا يعرفون كيف يتصرفون فيه !!

هؤلاء قومٌ سفهاء فهموا قوله تعالى " المال والبنون زينة الحياة الدنيا " فهما خاطئاً ، هما فقط زينة الحياة الدنيا وليسوا سببا فى الحياه أو غاية أو هدف نبيل يعيشون من أجله فى الدنيا .

تناول مسعود المال من عادل وهمّ بالرحيل بعد أن أخبره عادل أنه سيحصل عل مثلهم فى أخر الشهر وخرج وهو يقول :

- إن شاء الله هاتعجبك وهاجيبلك أختها " شروق " كمان

أشعلت هذه الجمله فتيل الغضب فى شمس التى قدمت كل هذه التنازلات من أجل ألا تعانى شروق مما عانت هي منه وألا تكون فى مكانها هذا فى يوم من الأيام ، فهى أمانة أمها ، وصتها بها وعاهدتها أن ترعاها

لكن مسعود لم يلتفت لغضبة شمس ، هو بالأساس خرج دون أن يودعها ، ظنته من أولئك الذين يضعفون عند لحظات الفراق ..

مسكينةٌ شمس ، فهى لا تعرف أنه خرج مسرعا دون توديعها ظناً منه بأنها قد تتقاسم معه الخمسمائة جنيه .

نظر عادل إلى شمس نظرة فحص وإكتشاف ثُم نادى على باقى أفراد الأسره ليعرّفهم عليها ويُفهموها عملها

خرج " شريف " الأبن الأكبر أولا وقد وكان متذمرا بعض الشيئ لأنه قد إضطر إلى ترك المذاكره ليلبى نداء أبيه ويعرف ماذا يريد منه

شريف شاب مجتهد ، يدرس فى الفرقه الثانيه بكلية الطب ولا يفكر فى شيئ سوى مذاكرته ومستقبله .

لم يأتى هذا الأمر من فراغ ؛ فقد تعرض لصفعة عاطفية شديده منذ أربع سنوات ، كان هذا فى الصف الأول الثانوى عندما أحب صديقته " إبتسام " وكان أهله وأهلها على علم بذلك وكل شيئ كان مهيئ للخطبة ومن ثَم الزواج بعد المرحلة الثانويه

لكنها طلبت منه ما لا يقبله معشر الرجال الذين يجرى فى دمائهم هرمونات الذكوره ، طلبت منه أن يغير من طريقته وأن يتطبع بطباعها وأن يفعل كما تفعل هى ؛ ليس لانها تريده الأفضل بل لأنها تريده هكذا .

كان صعبا عليه أن يكون تابعاً لها فى كل شيء ، إعتبر ذلك خيانة لرجولته ولقدوته فى الحياةِ " والده " الذى لاحظ عليه ذلك فقال له ما أثلج به صدره وأزاح عنه همه وخفف عنه صعوبة الإختيار ؛ قال له ما لم يذكر إلا فى دراما الحب الهنديه :

" عليها أن تحبك لما أنت عليه وليس كما تريد منك أن تكون ؛ إن غيرك أحدا فهذا ليس حب بل تسويه والحب ليس تسوية يا عزيزى ، تحبك كما أنت أو تتركك كما أنت "

يومها قبّل يوسف يد أبيه ونسى تماما أمر الفتاه وكرس كل وقته للمذاكره ، لهذا تذمر بعض الشيئ عندما نادى عليه والده ليعرفه على شمس فقطع مذاكرته

بل زاد من تذمره انه وحده الذى حضر مما دفع عادل إلى المناداة مره أخرى بتذمر وإستياء من عدم تنفيذ كلامه قائلا :

- بقالى ساعه بنادى ومحدش بيرد عليا .. فين الست سلمى !؟

سلمى وهى تسرع من خطواتها تجاه أبيه :

- أنا هنا يا بابا

سلمى "١٤ سنه " طالبه فى الصف الثانى الإعدادى ، تهتم كثيرا بمظهرها الخارجى ، تحب الرحلات وتعشق جدتها " حكمت " وتهوى الإستماع إلى حكايتها ؛ لا تحب الدراسه لكنها متفوقة جدا . " مفارقة غريبه " !!

حضر يوسف وسلمى وها قد حضرت سيدة هذا المنزل " مريم "

" مريم الدكرورى "٤١ سنه "محاسبه بإحدى الشركات ؛ تكره الأعمال المنزليه وتحب عملها الحسابى كثيرا ، تربت على حب التعلم ، كان شرط زواجها من عادل هو أن يسمح لها بالعمل بعد الزواج . " رضى بذلك بصعوبه "

لكنها فى شجار دائم مع والدة عادل " حكمت " التى تعيش معها منذ أكثر من عشرين سنه ، فليس لها عائل بعد وفاة زوجها سوى ابنها ، هو أيضا يرد لها جميلها فقد ربته وتحملت عنائه بعد وفاة والده ؛ تعشق شرب القهوى وتكره الأصوات المزعجه والضوضاء ، لهذا حضرت الأن بعد أن أعلى عادل صوته أثناء النداء على الجميع للتعريف بشمس ، وها قد حضروا جميعا عدا مروان الذى ذهب ليشترى بعض الحلوى ، ولكن لا بأس فقد رأى شمس حين أستقبلها هى ومسعود عند فتح الباب . (هذا ما فكر به عادل)

بعد أن حضر الجميع بدأ بالتحدث قائلا :

- بصوا أنا كنت ملاحظ الفتره الأخيره إننا معدناش متفرغين بالشكل الكافى اللى يسمحلنا إننا نقوم بشغل البيت ، وعلشان كدا أنا كلمت تمرجى معانا يجبلنا شغاله ، ووصلت النهارده .. إسمها شمس من محافظة الشرقيه .

سلمى : **THAT'S RIGHT**

يوسف : **NICE**

عادل وكأنه يتذكر شيئا :

- بالمناسبه .. طريقة الكلام دى تغيروها وتحاولوا تتكلموا عربى علشان شمس تفهمكوا ، بالطريقه دى هتطفشوها

شمس وقد تفوهت بما أبهر الجميع :

- NO PROBLEM . ANY WAY I CAN STAY

عادل مندهشا :

- نعم !! ، إنتى قولتى ايه دلوقتى ؟؟

شمس بثقه زائده :

- أنا كنت طالعه الأولى على المحافظه فى الإبتدائيه ، وباتكلم انجليزى كويس

عادل وما زال يحتفظ بإندهاشه :

- درستى لحد إمته ؟؟
- لحد تانيه إعدادى
- أومال مكملتيش ليه ؟؟
- والدتى توفت وحصلنا ظروف صعبه
- ظروف ايه اللى تخلى الأولى على المحافظه فى الإبتدائيه متكملش ؟
- مش عاوزه أصدعكوا بحكايتى . متشولش همى " NEVR MIND "
- زى ما تحبى . شكلك طيبه وأنا إبتديت أحبك
- ربنا يخليك يا بيه

ثم اتجه ناحية مريم وقال :

- خدى شمس وعرفيها البيت والأوضه اللى هتبات فيها يا " مريم "
- مريم : O.K

كانت هذه المقابله بمثابة المطرقه التى كسرت حاجز الخوف عند شمس ، فلم تشعر بأنها غريبه فى هذا البيت بل إن الترحيب الذى وجدته فى هذا المنزل جعلها تنسى أنها جاءت هنا لتعمل " خادمه "

زاد أيضا من سعادتها تلك الغرفه التى تم إعدادها لها ؛ فهى ولأول مره ستنام فى غرفة وحدها ؛ فقد إعتادت على النوم مع أشقاءها فى غرفة واحده

لم يكن عادل وحده الذى قد بدأ يحب شمس ، بل وكذلك مريم قد إرتاحت لها وشرعت فى حبها .. ومن لا يرتاح لهذا الوجه الملائكى !؟

بدأت مريم بتعريف شمس على جميع غرف المنزل ، كما دلتها على المطبخ الذى جاءت من أجله وعلمتها إستعمال بعض الأجهزه الموجوده التى لا تجيد إستعمالها لأنها لم ترها من قبل سوى فى الأفلام والمسلسلات

وبعد أن إنتهت الجوله تركتها فى غرفتها قائلة :

- أسيبك تنامى علشان ترتاحى
- لو فيه حاجه دلوقتى أعملها عادى
- لأ .. إنتى لسه جايه من سفر ، نامى دلوقتى وبكره بدرى إبتدى الشغل
- ماشى .. ربنا يخليكى يا ست هانم
- بدرى ها ؟ .. علشان الأولاد عندهم مدارس وعادل عنده مستشفى كمان
- وإنتى !؟
- لأ .. أنا الطفل الجديد مزهقنى طول الليل فمبنمش إلا الفجر
- ربنا يخليهولك
- يا رب .. تصبحى على خير
- وإنتى من أهله .. إن شاء الله هاكون صاحيه من الفجر

لم تجد شمس المعامله القاسيه للخدم التى كانت تراها فى الأفلام بل وجدت كل إحترام وترحيب بها فى هذا المنزل مما جعل ليلتها الأولى فيه ليله هادئه فأطفأت الاضواء ونامت على وساده لم تحلم أن تنم عليها من قبل .

****

" فى الحنين لا فرق بين يومين أوعامين أو حتى عقدان

فحجم الإشتياق قد يلغى فكرة الزمن .. "

الأحد ٢ فبراير :

السادسه صباحا

مع شروق الشمس إستيقظت شمس من النوم لتتسلم مهام عملها رسميا . لم يكن أحدا من أهل البيت إستيقظ بعد سوى " حكمت " التى كانت تقرأ إحدى الكتب

سلمت عليها ثم دخلت للحمام وتوضأت وصلت الصبح ودعت ربها فى ركعتها الثانية أن يعيد لها حبيبها وأخيها سالمين من الخليج وبللت موضع صلاتها بدمعتين محترقتين ، إحداهما كانت لأخيها شوقى والأخرى كانت لـــــ " حسن "

أنهت صلاتها وأتجهت ناحية المطبخ لتجد بداخله ورقه على باب الثلاجه بها جدول الطعام الإسبوعى .

" بيض وجبن ولنشون وفول وثلاثة أكواب من اللبن وكوبين من الشاى وفنجان من القهوه "

هذا هو فطور اليوم كما هو مبين بالجدول .

إبتسمت شمس إبتسامة الثقه فهذه الوجبه لا تستغرق فى يديها أكثر من خمسة دقائق .. ربما يكون لديها قسطا كافيا من الوقت لتسترجع بعض الذكريات .

داهمتها ذكريات حدثت فى مكان كمثل هذا الذى تقف فيه " ذكريات المطبخ " حدثت كلها مع والدتها

فهى من علمتها الطهى وأدخلتها المطبخ من سن ثمان سنوات

تذكرت إحدى المرات التى كانت مع والدتها فى المطبخ وقالت لها ما كان درسا من مدرسة الأم ، قالت لها " لا تنتظرى ممن سيرتبط بك أن يحبك أكثر مما تحبينه ، ليس لعيب فيه بل لعيب فينا ، فنحن النساء إذا أحببنا نحب بقلوبنا وعقولنا وأرواحنا أما الرجال فيحبون بقلوبهم فقط "

أذكر أننى قرأت فى أحد الكتب أن رجل سأل إمرأه : لماذا خلقت النساء جميلات وناقصات عقل ؟؟ ، فردت عليه بمكر " جميلات حتى يقع فى حبهن الرجال وناقصات عقل حتى يقعن هن فى حب الرجال "

يومها فهمت شمس من كلام والدتها أنها تلمح لقصة حبها هى وحسن ، فردت عليها بثقة حسدتها عليها :

- أنا لم أحبه بشرط أن يحبنى هو أكثر مما أحبه ، فليس هناك فى الحب شروط ..

" ليت أمى موجودة معى الأن ، ليتنا نستطيع التحدث سوية مره أخرى ؛ أين لى بحديث كحديث المطبخ ذاك " .. (قالتها وفى عينيها دمعتين)

دقت السابعه وأستيقظ كل من هم فى البيت سوى مريم التى لم تنم طوال الليل بسبب صراخ طفلها الصغير

كانت شمس قد أعدت طعام الأفطار فتناولوه جميعا ثم خرجوا من المنزل

يوسف إستوقف تاكسى أسفل البيت وذهب إلى جامعته وعادل ركب تلك السياره حمراء اللون موديل مرسيدس التى اشتراها نهاية الشهر الماضى ..

لذلك هو ليس ماهرا بالقياده كما انه يسير ببطء .. لذا رفض يوسف عرضه بأن يوصله إلى جامعته فى طريقه إلى المستشفى

أما سلمى ومروان فمدرستهما فى أخر الشارع المجاور للمنزل ، لكن لابد من شخص يقودهما إلى هناك ليعبر بهما الطريق الذى يعج بالسيارات .. وكانت هذه هى مهمة " شمس " التى رحبت بها كثير لانها بذلك تستطيع رؤية الشارع يوميا والتعرف أكثر على القاهرة

عادت إلى البيت بعد توصيلهما وبدأت فى تنظيف غُرف النوم ؛ ثم بدأت فى تحضير الغداء لكى يكون جاهزا قبل حضورهم .

طلبت منها " حكمت " فنجانا من القهوة فجلبته لها وهمت بإلانصراف فاستوقفتها " حكمت " قائله :

- إستنى مستعجله على أيه !
- عاوزه أحضر الغدا قبل ما الدكتورعادل يجى
- متخفيش مبيجيش إلا الساعه ٢ بعد الضهر .. ألا قوليلى يا شمس إنتى بتحبى الحكايات بتاعت الكبار ؟؟
- اه بحبها .. بس من ساعة ما عنيا فتحت فى الدنيا وأنا متلقتش كبار يحكولى حكايات (قالتها بحرقة وأسى)
- ليه اومال فين أجدادك من الأم والأب
- ولا شوفت دول ولا دول .. كل اللى أعرفهم فى الدنيا هم ابى وامى واخواتى
- طب تحبى أحكيلك حكايه !؟
- يا ريت (قالتها وعلى وجهها إبتسامة عريضه إتسعت لتشمل وجهها بأكمله)
- بصى يا ستى كان فيه بيت فى أربع أفراد .. أب وأم وولادهم (ولد وبنت) وكانوا عايشين فى خير وسعاده وفى يوم الأم نزلت تشترى حاجات من السوق وأخدت معاها إبنها علشان يساعدها فى شيل الحاجات اللى هتجيبها ؛ وهى فى السوق سمعت إن فيه بيت فى شارع " الشاطر " اللى هيا كانت ساكنه فيه ولع ؛ بس مكانتش تعرف بيت مين بالظبط اللى ولع
- ها ؟ .. كملى كملى
- المهم إشترت وروحت وأول ما دخلت الشارع إتفجئت إن البيت اللى سمعت أنه ولع كان بيتهم وإن اللى كانوا فيه ماتوا (تقصد زوجها وبنتها)

- يا نهار إسود !! ماتوا إزاى ؟؟
- الأب كان طلب من البنت كوباية شاى وهى بتولع البوتجاز راحت الأنبوبه إتفجرت وولعت فى كل حاجه فى البيت ..
- يا عينى .. طب وعملوا ايه
- الأم مكنش ليها قرايب ولا أهل فاخدت ابنها وقعدت فى أوضه بالإيجار وإشتغلت وصرفت على ابنها علشان تعلمه ، لحد ما كبر وبقا دكتور

شمس بإندهاش : دكتور !!

- دكتور " عادل الشريعى "
- يعنى أاا ..
- ايوه .. القصه اللى انا باحكيهالك دى تبقا قصتى أنا

تساقطت الدموع من أعين شمس ولم تعرف شيئ تقوله لها حتى قطع عادل الحوار بقدومه حيث دخل البيت ومالبث حتى رأى دموع شمس وهى بجانب والدته فأعلى صوته ضاحكا ضحكه هيستيريه مما أثار دهشة شمس وتملقته بعيناها ، الأمر الذى لاحظه هو فحاول توضيح الأمر قائلا :

- طبعا أمى سمعتك قصة كفاحها
- أيوه يا دكتور .. ربنا يسعدها زى ما استحملت وضحت علشان تسعدك
- هههههههههههههه
- حضرتك بتضحك ليه !؟
- أصل الكلام ده ملهوش أى أساس من الصحه
- يعنى ايه !
- يعنى إحنا ولا بيتنا ولع ولا كان عندى خوات بنات أصلا

- ووالد حضرتك ؟
- مات بفيروس c عادى
- يعنى الكلام دا كله محصلش
- إطلاقا

شمس وقد حاولت أن تكتم غضبها :

طب هي هتستفاد ايه لما تضحك عليا ؟

- مش عارف .. بس هي بتحكى القصه دى لأى حد بيجى يشتغل عندنا

إحتفظت شمس بغضبها واتجهت صوب غرفة " حكمت " وسألتها :

- ليه بقا القصه دى ؟
- قصة ايه ؟
- اللى حضرتك إخترعتيهالى دى
- هو عادل قالك . . (قالتها وهى تصطنع الضحك)
- اه قالى (ردت بنفس الضحكه المصطنعه)
- أنا كنت بهذر معاكى .. كنت بخوفك علشان تخلى بالك من الغاز والنار وتعرفى إنهم ممكن يضيعوا أسره بحالها وإنك لازم تبقى حريصه وإنتى بتستعمليهم

لم يكن هذا ما أرادته حكمت من تلك القصه المختلقه ، بل إنها أرادت أن ترفع من قدرها لدى شمس حتى تحترمها وتطيعها (هذا ما أستنتجته شمس)

واستنتجت كذلك أن أهل هذا البيت قد بدأو يحبوها وانهم قد اتخذوها بنتا لهم ، بدا ذلك واضحا من تعاملهم معها فى أول يومين لها كخادمه .

شعرت أن الحياة قد بدأت تحبها وأن الحظ ما عاد يمانع فى الإبتسام لها ، فها هى تعيش فى بيت

لم تكن تحلم بالمرور أمامه ، بل وتعامل معامله طيبه من أهله ، شعرت بحنان ودفء لم تشعر بهما منذ وفاة أمها من عشر سنوات

لكن شيئا واحدا كان ينقصها كى تكتمل تلك الصوره الجميله التى رسمتها فى أحلامها الورديه .. كان القدر قد كتب لهذا الشيئ أن يحدث غدا !

****

الإتنين ٣ فبراير :

كالعاده .. إستيقظت شمس باكراً لتحضير إفطار هذا اليوم ثم وضعته على المائدة التى كان يجلس عليها أفراد الأسره .. وكلٌ كان فى عالمه

عادل .. يقرأ صحيفة الأهرام كالعاده فهو عاشق لمقالات محمد حسنين هيكل ..

يوسف .. يجهز لمحاضرات اليوم فدائما يحب التفوق ويحرص على أن يكون ممن يتصفوا به

سلمى .. لا تزال منشغلة بتسريح شعرها التى تراه طويلا

مريم .. لاتنفك من تدليل إبنها الصغير، تكرهه ليلا وتعشقه صباحا

حكمت .. إلى الأن تحاول أن تصنع ثوبا للطفل الغير عن طريق الخياطه اليدويه

مروان .. ترك كل ذلك وانشغل بالتلاعب بالكرة قليلا فى ساحة الشقه .

كل هؤلاء جمعتهم " شمس " بوضع أطباق الطعام على المائده ، وما إن شرعوا فى تناوله حتى بدا الهاتف فى الرنين !!

عادل : قوم رد يا يوسف

يوسف : معلش يا بابا علشان مستعجل .. سلام .. وخرج واغلق الباب خلفه

عادل بصوت تسللت إليه العصبيه :

- **طب قومى انتى يا ست سلمى**

سلمى : أنا رجلى بتوجعنى ومش هاعرف أقوم وأقعد

عادل وقد بلغ أشده فى العصبيه :

- **يووووه .. يعنى أقوم أنا مثلا ولا والدتكوا التعبانه ولا جدتكوا الكبيره !! حد يقوم يرد على الزفت**

شعر مروان أن الموقف يزداد سواءا فأثر السلامة وقام ليرد على الهاتف :

- **ألو**
- **منزل الدكتور عادل**
- **أيوه .. أقوله مين حضرتك**
- **لا أنا مش عاوزه هو**
- **أومال عاوز مين**
- **أنا عاوز " شمس "**
- **شمس مين ؟؟ .. أاه شمس .. أقولها مين ؟**
- **قولها حسن .. " حسن الراعى "**
- **طب ثانيه واحده**

يوسف وقد أعلى صوته :

- **كلمى يا شمس .. تليفون علشانك**

شمس بإندهاش :

- **علشانى أنا ؟؟ .. مين ؟؟**

- واحد إسمه حسن .. حسن الراعى

إنطلقت شمس صوب الهاتف و نظرت لعادل ففهم أنها تريد أن تتدخل الهاتف لغرفتها فأشار برأسه معلنا القبول (قالت ذلك حتى لا يسمع أحد حديثهما)

دخلت غرفتها وأستلقت على السرير ثم وضعت السماعة على أذنها وقالت بصوت خافت لم تسمعه أذن حسن ولكنه فهمها :

- حسن ؟؟ بجد حسن .. ولا انا بأحلم ؟؟

رد على طريقة نزار اقبانى :

- لا أخلف وعدا للحب

أرادت أن تجاريه بالطريقة التى رد عليها بها فقالت :

– الحب يا عزيزى قد مل منك وعدته كثيرا وأخلفت حتى تسرب إليه أنك قد مت

حسن وقد أراد أن يقطع جو الروايات هذا فقال :

- والحمد لله إنى رجعت ونفذت وعد الحب
- الحمد لله .. طمنى عليك .. إختفت ليه وايه اللى حصل ؟؟ إحكيلى
- دى حكايه طويله يا شمس
- ياريت تقولهالى .. عاوزه أسمع منك وأشبع من كلامك
- الأحسن متسمعيهاش
- يعنى ايه مش فاهمه !
- أنا أول ما وصلت العراق قامت الحرب واتمسكت .. قالولى هنتحرى عنك وهنسيبك على طول ؛ وقعدت على الحال دا أربع سنين وطلعت وانا كاره البلد ونفسى ارجع ؛ بس إزاى وانا معييش فلوس ؛ حتى الاكل مكنتش عارف اجيبه !! فاشتغلت طول السنه دى لحد ما صدقت جبت تمن التذكره بالعافيه ورجعت على طول

تنهدت شمس تنهيدة اليأس ثم قالت :

- يعنى ايه ؟؟ مفيش فلوس ؟؟ مفيش جواز ؟؟ مفيش راحه ؟؟ مفيش مفيش
- أنا هانزل مصر زيك اشتغل وهاجيب فلوس بس استنينى خمس سنين وانا ...
- خمس سنين تانى ؟؟ بالطريقه دى مش هنتجوز إلا بعد ١٠٠ سنه

تنهد حسن ثم صمت .. صمته دل على عجزه

هكذا هى حياة الشباب كلهم يتعبون لاجل أبسط حقوقهم ويقضون العمر كله فى التفكير بهمّ الارتباط حتى إذا ما ارتبطوا وانجبوا لا يستطيعون تربية أبنائهم وتكثر المشاكل وتفشل حياتهم الأسريه ويبدأون التفكير فى الإنفصال لعن الله دولة لا ترحم . هذا ما دار بذهنه أثناء صمته

همت شمس بإغلاق سماعة الهاتف بعد أن حطم حسن أخر أحلامها .

هى الان تيقنت انها ستحيا وتموت على معيشة الخدم .الحياة المنسيه

لكن حسن أراد أن يحول مسار الكلام فى محاوله للتخفيف عن شمس فسألها : – والناس اللى انتى شغاله معاهم كويسين ؟؟

- كويسين إزاى ؟؟
- من ناحية المعامله يعنى
- اه الحمد لله . ناس طيبين وبيعاملونى كويس زى بنتهم وحبونى وحبتهم

رد بمكر وتحريض على إستحياء :

- طب حاولى تستغلى الفرص

ردت بإندهاش : إزااى ؟؟

- يعنى انتهزى اى فرصه ممكن تسرع إرتباطنا

هى تفهمت لكنها ارادت تختبر مدى الانحطاط الذى وصل له مسعود فقلت بلهجة مريره :

- مش فاهمه !! أسرق يعنى ؟؟

- ماسمهاش سرقه ؛ الناس دى اغنيه جدا ومهما تخدى منهم مش هيحسوا بحاجه
- اتغيرت فى الغربه يا حسن
- قصدك اتعلمت
- اتعلمت ايه
- الغربه فتحت عينى وعلمتنى إزاى أستغل الفرص

إستطرد كلامه بعد أن سمع صمتها :

- وعلمتنى كمان إن فيه ناس اتولدت علشان تخدم ناس وإن القوى فعلا هو اللى يعرف ياخد حقه بأى طريقه وبأى أسلوب
- حتى لوكانت السرقه ؟؟

قال وهو يقر كلامها :

- حتى لو كانت السرقه
- حق ايه اللى انته عاوزه من السرقه ؟؟
- بكره هتفهمى ؛ ولا أقولك هما بيكلوا ايه صحيح ؟؟ أكيد الفطار بتعهم يفطر ١٠٠ اسره مش لاقيين ياكلوا ولو كلوا بياكلوا من الزباله

كان صمت شمس هو ردها ؛ دائما ما يكون الصمت هو ابلغ الردود ؛ فالصمت وان ارتبط دائما بالقبول فإنه كذلك لا يخلو من إحتمالية الرفض أو اللامبالاة

أراد حسن أن يغير الموضوع ثانية فقال :

- هتنزلى البلد إمته يا شمس ؟
- هنزل ليه ؟
- علشانى

- خلاص يا حسن ملهوش لزمه النزول ؛ كل واحد مننا يشق طريقه لوحده ؛ لم يطاوعها قلبها لكنها ساومته بأحلامه التى تحطمت فوافق قولها

حسن بصوت متحشرج :

- خلاص يا شمس اللى تشوفيه بس فكرى فى كلامى

أغلقت الهاتف دون ان تودعه

كانت شمس بعد هذه المكالمه فى صراع حاد مع قلبها ؛ فهو لن يسامحها على وقت ضيعته فى إنتظار حسن .

مر اليوم بطيئا على شمس التى تعرضت لصدمه فى بدايته أفقدتها الأمل فى الحياة وفى المساء دخلت غرفتها واستلقت على السرير

استيقظت شمس من النوم التى لم تتذوقه طيلة اليوم هى فقط سلمت نفسها للسرير ولا تعلم متى غلبها النوم ؛ كل ما تعرفه انها فقدت الوعى وفى عينيها دمعتان محترقتان

وهكذا مرت الأيام على شمس متشابهة اللهم إلا إختلاف واحد وهو أسماء هذه الأيام ..

هى الحياة . وقودها الأمل وبدونه تتعطل وتصبح بعده بلا فائدة ؛ يحتاج المرء بعد فقدانه إلى دفعة جديده أو شيئ يحيا لأجله ويكرث حياته له ؛ الموت على شيئ خير من الحياة بلا شيء . كم هى فى حاجة الأن إلى شيئ من هذا القبيل

****

" لماذا يعطونك الأمل فى الحياة وبعدها يرحلون ، أحيانا قد نفقد الأشياء والأشخاص ، ليس لأنك لم تحافظ عليها جيدا ، بل لأنك حافظت عليها أكثر مما تستحق .. "

السبت ٨ فبراير :

كان يوما عاديا بإمتياز لا يختلف كثيرا عن اليوم الذى سبقه ، إستيقظت فيه شمس من النوم وذهبت الى المطبخ وحضرت وجبة الإفطار بينما كان أهل البيت جميعا على موعد مع الإستيقاظ وفى تلك الغرفه التى تقع فى أخر الطابق شمالا كان الدكتور عادل يحاول كالعاده ايقاظ مروان ؛ دائما هو فى عداوة مع الصباح ؛ لا يحب الاستيقاظ ويعشق ايام العطله التى كانت تعطيه قسطا اكبر من النوم ؛ لكن الدكتور عادل يستطيع التعامل معه ..

فعادة ما يعده بشيئ إذا ما اذا استيقظ من نومه باكرا او قام دون معاناة ؛ وفى هذا اليوم إقتربت شمس من الغرفه لتسترق السمع الى ما سيقوله عادل لمروان .

أرادت ان تتعلم فن من فنون الحياه .. فن " ترويض الأطفال " ، إقتربت أكثر ووضعت أذنها على الباب لتسمع ما لم تكن تتوقعه، ما غير لها حياتها ، ما سيحولها إلى جحيم ، سمعت عادل موجها الحديث لمرون قائلا :

" هذا هو الكنز الحقيقى ، هذا ما أحتفظنا به طيلة حياتنا وفيه ايضا ما يخص أجدادك .. لا تخبر أحدا به حتى نحافظ عليه فأنت الوحيد الذى يعرف مكانه "

عادت شمس مسرعة الى المطبخ بعد أن سمعت كلمات عادل لابنه ، هى لا تعلم أكانت هذه الكلمات هديه من هدايا القدر أم طريق للمهلكه ..

رجحت الأولى وحدثت نفسها قائلة " الغبى هو من لا يستغل هدايا القدر "

كنز كهذا قضت فيه أسره كامله عمرها فى جمعه لهو حرى بأن يكون سبب فى السعادة التى طالما حلمت بها (فكره راودها)

فى هذا التوقيت رتب لها القدر دقة من القلب ، والقلب هو الطارق الوحيد الذى لا يستطيع أحدا أن يتجاهله ، فمن دق قلبه وقع فى ذمة العشق ووقتها لا يستطيع ان يميز صدق أو كذب هذه الدقات .. وهكذا هم الاحباب ..

يدخلون حياتنا من الباب الرسمى ويرحلون من الابواب الخلفيه بعدما يقضوا جولتهم فى بيت الحب .. وليس من السهل تنظيف هذا البيت من أثار ذلك الطارق الذى لم يتركه إلا وقد عبث بكل جزء فيه .. تماماً كما فعل حسن بشمس

شعرت أن القدر غير راضٍ عن إنفصالهما فأرسل لهما هذه الهديه كبوادر للصلح بينهما ، فقضت ليلتها فى الربط بين حديث حسن عن كيفية استغلال الفرص التى لا تاتى كثيرا وحديث عادل عن الكتر .. حتى غلبها النوم .

عاتبها ضميرها كثيرا فى هذه الليله وحاول أن يصرفها عن التفكير فى هذا الأمر ، لكن قلبها كان له الغلبة هذه المره فعزمت على سرقة الكتر .

****

الأحد ٩ فبراير :

إستيقظت " شمس " من نوم ليلة قضتها فى نسج خيوط جريمتها التى إنتوت إرتكابها لسرقة الكتر .. لكنها ما زالت بعد فى حاجة إلى دفعة للأمام وخطة أكثر إحكاما .. ستحصل عليها حتما من " حسن " ..

تناول الجميع إفطارهم وهمّ كل واحد منهم بالذهاب إلى عمله .. عادل إلى المستشفى وشريف إلى الكليه ومريم إلى مدرستها .. فعمل الطالب هو دراسته لكن أغلب الطلاب لا يتقنون أعمالهم

كلهم إستعد إذاً للذهاب عدا " مروان " .. فقد جاءته نوبة البرد ثانية وأجبرته على الجلوس فى بيته .. فما كان من شمس إلا أن إصطحبت " سلمى " وحدها بعد أن أنهت إفطارها سريعا قبل بقية أهل البيت لتخرج فى السادسة والنصف

وفى الطريق خطر فى بال شمس أن تستغل خروجها الذى لن يتكرر هذا اليوم وتتصل بـــــ " حسن " لتخبره بما سمعته صباح أمس .. لكن سلمى هى العائق

فهى بالأساس لم تتصل به من المنزل كى لا يسمعها أحد والان " سلمى " معها وقد تسمع حديثها .. ففكرت فى خطه

طلبت من سلمى إنتظارها قليلا حتى تشترى علبة مناديل من هذا الشارع وعندما طلبت سلمى مرافقتها أجابتها بأنها لن تتأخر

وبالفعل دخلت شمس هذا الشارع الذى يتواجد به " كابينة محمول " فوضعت فيها ذلك الكارت الذى أعطاه لها مسعود فى القطار كى تتصل بهم فى أى وقت تتعرض فيه لمشكلة

وضعت الكارت وطلبت رقم البقال المجاور لمنزل حسن وطلبت منه أن ينادى حسن .. فنادى عليه فأتى مسرعا وهو لا يصدق أن شمس تتصل به ثانية بعد هذه المكالمة التى قست فيها عليه .. فوضع الهاتف على أذنيه وقال بصوت فرِح :

- كنت عارف إنك هتتصلى وإنى مش هاهون عليكى ..

قالت بنبرة جاده :

- مش وقته الكلام دا .. فيه موضوع أهم

رد مندهشا :

- موضوع ايه ؟؟
- البيت اللى أنا شغاله فيه طلع عندهم كنز
- كنز ايه دا ؟

- مش عارفه .. أنا سمعتهم بيتكلموا وبيقولوا أنهم بيجمعوا فيه بقالهم ١٥ سنه
- وإنتى هتعملى أيه ؟

صمتت شمس فعلم حسن أنها قد فكرت فى كلامه وانها عزمت على سرقة الكتر ؛ وإلا فلماذا إتصلت به هو وأخبرته !!

كان يشعر أن حبه قد إنتصر على خوفها وجعلها تفكر فيما لم يكن يخطر ببالها ؛ فى معركة الحب والخوف ينتصر الحب دائما (حكمه هنديه إستطاع تنفيذها)

عاد ثانية يحدثها بلغة مطمئنه :

- متخافيش إنتى بس وإفتكرى إن تعب ليله زى دى هيريحنا طول العمر
- تنهدت بما يعنى إستحسانها لكلامه

عاد ليسألها :

- طب إنتى مش عارفه الكتر دا عباره عن أيه ؟؟ دهب ، فلوس ، ألماظ ؟؟
- مش عارفه ..
- أومال هيكون أيه !!
- مش عارفه بقولك (قالتها بعصبية شديده)
- طب خلاص خلاص .. وانتى نويتى تنفذى إمته ؟؟
- مش عارفه
- يووه .. كل حاجه مش عارفه مش عارفه ؟؟
- يا أخى إرحمنى .. مش كفايه هاسرق علشانك
- مش علشانى أنا بس .. وعلشانك إنتى كمان
- طب إقفل دلوقتى ... ثم وضعت الهاتف وسحبت الكارت وإستدارت للخلف لترى ما نزل عليها كالفاجعه !!

إنها سلمى !! أرادت أن تستعجل شمس فقادها القدر إلى سماع هذه المكالمه ؛ تسمرت شمس فى مكانها ولم تستطع النطق ، فى الوقت الذى كانت عين سلمى تجيب بما يدور فى ذهن شمس الأن .. " ستخبر أهلها بكل ما سمعته "

كان أمام شمس لحظات قليله كى تتخذ القرار المناسب تجاه هذه المصيبه ، فحتما سيطردونها وسيبلغون الشرطه وستقضى عمرها فى السجن بعد أن كانت على بعد خطوة واحده من السعاده الأبديه (أمور دارت فى ذهنها)

وفى هذه اللحظه إتخذت قرار بمساعدة الشيطان وكانما نزل عليها وحيٌ منه ؛ قررت أن تقتلها ؛ ستقتل طفله لم تتجاوز الخامسة عشر !!

" حياة بحياة والكاشف أخطأ " رددت هذا الجمله فى نفسها ثم إصطنعت البراءة ونظرت لسلمى قائلة :

- أنا أسفه يا سلمى وعلى العموم أنا هوديكى المدرسه وهاروح أتأسف لبابا

لم تصدقها سلمى ولكنها أقنعت نفسها بأنه مهما حدث فستخبر والدها بما سمعته ، ولكنها يجب أن تذهب إلى المدرسة الأن كى لا تتأخر أكثر من ذلك .

كان الساعة تدق السابعه .. وقت باكر كهذا لم يعتد هذا الشارع بمن يمر فيه ، كما أن جميع المحلات مغلقه .. (أمر إستغلته شمس)

إستدارت سلمى قاصدة التوجه الى المدرسه وأعطت الأمان لشمس ؛ وكأنها أعطت ظهرها لملك الموت !!

تناولت شمس أحد قوالب الطوب الملقاه فى هذا الشارع التى إستغلت فراغه من البشر ووضعت يدها على فم سلمى حتى لا تصرخ ثُم ناولتها به ثلاثا على رأسها ففقدت الحياة على الفور ولكن ذلك الشيطان المتجسد فى هيئة شمس أراد الإطمئنان أكثر بأنها قد ماتت فناولها ضربة رابعه أكدت لها موتها ..

كانت شمس فى حيرة من أمرها فهى لا تعلم ماذا تفعل الأن بجثتها وماذا ستقول لأهلها عندما يسألونها : كيف ماتت !!

لم يتركها الشيطان وحيدة فأرسل لها خطة محكمة للتخلص من هذه المصيبه .

على الفور إتصلت بالبيت وغيرت من صوتها بواسطة منديل وضعته على أنفها ليرد عليها عادل الذى عاد ليرد على الهاتف بعد أن كان قد فتح الباب وهم بالخروج :

- الو
- ايوه .. أأمر يا فندم
- منزل الدكتور عادل ؟؟
- أيوه مظبوط .. أقدر أساعدك إزاى
- أصل إحنا إتلقينا دلوقتى فى الشارع اللى فيه كبينة المحمول واحده كبيره وبنت صغيره مضروبين على رأسهم ونايمين على الأرض ولما فتحنا الشنطه إتلقينا الكشكول مكتوب عليه " سلمى عادل الراعى "
- يا ساتر يارب .. طب وهما عاملين ايه دلوقتى !؟
- ماعرفش .. إحنا طلبنا الاسعاف وهما جايين فى الطريق

دب الرعب فى كل أرجاء المنزل وتجهز الجميع للنزول الى هذا الشارع ليروا ما حدث به لإبنتهم وخادمتهم .. إلا شخص واحد إستوقفه عقله قليلا عند تفاصيل هذه المكالمه .. إنه مروان !!

كان مروان فى حيرة من أمره .. فإن كان هذا المتصل قد عرف اسم والده من كراسة سلمى كما يزعم ، فكيف عرف رقم الهاتف المنزلى !! ، فهو بالتأكيد غير مدون على الكراسة أيضا لكن هول الموقف منعه من إعمال عقله أكثر فى هذ الامر وانطلق مع بقية الأسره إلى موضع الحادثه

كانت شمس فى هذا توقيت على موعد مع النصف الثانى من خطتها .. فاتصلت بالشرطة والاسعاف واخبرتهما بنفس ما اخبرت به عادل ، ثم امسكت بالحجر الذى قتلت به سلمى وضربت به على رأسها ضربتين ضعيفتين أسفرا عن سقوط الدم من رأسها التى شُجت بهاتين الضربتين ثم وضعت بعض الرمال على الحجر لتخفى البصمات والقت به بعيدا واستلقت بجانب سلمى وادعت فقدان الوعى ، ليرقد الجانى بجانب المجنى عليه ويظهر فى ثوب الضحيه !!

وصلت الشرطه ومن ثم الاسعاف قبل ان يصل الدكتور عادل ومن معه بدقائق ، وما ان لبثو حتى اندفعت مريم نحو سلمى لترى ما حل بها ثم نادت على عادل الذى وضع يده على قلبها ثم نظر الى زوجته وفى عينيه هاتين الدمعتين اللاتان زفا هذا الخبر المفجع :

" لقد ماتت سلمى " ، على الفور سقطت حكمت على الأرض بعد أن سمعت الخبر ، أما مريم فقد أوسعت الشارع صريخا قبل أن يملأه يوسف بدموعه على أخته الوحيده ..

أراد الدكتورعادل أن يبدوا متماسكا بعض الشيء .. لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه عندما نظر إلى أبنته مغطاة بالدم وقد فارقت الحياه ولن يستطيع مداعبتها ثانية ، فأمسك بها واحتضنها واطلق لنفسه العنان فى البكاء أيضا .

لكن شخصا من الحضور كان قد نزع ثوب البكاء وأرتدى ثوب التحقيق .. بالتاكيد إنه مروان ..

" أين المتصل !؟ " سؤال كاد أن يقتله من الحيرة ؛ فكيف لشخص أجهد نفسه بالاتصال بكل المعنيين بالحادثه ثم يترك مكان الحادث ويغادر قبل وصول الجميع بدقائق !! ؛ هذا إن كان قد غادر حقا !!

" لابد وأنه كان يريد لكل هؤلاء أن يحضروا سريعا لأمر ما " !!

(شيئ أخر إستطاع إستنتاجه)

لكنه تذكر أنه بالنهاية قد ماتت أخته وعليه أن يحزن عليها ، فمن الأن سيلعب معه وينام بجواره كما كانت تفعل " سلمى " !!

بعد قليل تذكر عادل أن شمس أيضا قد أصيبت فأراد أن يطمئن عليها فأخبره الطبيب أن حالتها مستقره وجيده جدا وأن إصابتها مجرد جروح سطحيه لن تؤثر عليها كما أنها تستطيع مغادرة المستشفى اليوم إن أرادوا .

أثلجت هذه الكلمات صدر عادل الذى كان سيقع فى مشكله كبيره إذا ماتت شمس أيضا ، فماذا كان سيقول لأهلها إذاً !!

بعد أن إستفاقت شمس من الإغماء الذى كانت تدعيه أراد محقق الشرطه أن يستمع لشهادتها بشأن الحادثه ، ربما يستطيعوا التعرف على المجرم

لم تبد شمس إعتراضا ففتح المحضر

وكيل النيابه : إفتح يا ابنى المحضر ، إنه فى يوم الأحد الموافق ٩ فبراير ١٩٩٥ تم العثور على جثة طفله صغيره تدعى " سلمى عادل الشريعى " بجوار سيده فى العشرينات تدعى " شمس مرزوق العنانى " وقد كانت فاقدة للوعى إثر ضربات تعرضت لها من قاتل الطفله وعند سؤالها عن شهادتها على تلك الحادثه كانت أقوالها كالأتى :

س : إمته تحديدا حصل الحادث

شمس : حوالى الساعه السابعه صباحا

س : ما هى الاسباب التى أدت إلى هذا الحادث ؟

شمس : كانت فى البدايه سرقه وبعد كده كانوا عاوزين يـــــ ..ي ..

- كانوا عاوزين ايه !؟
- كانوا عاوزين يعتدوا عليا و أأ...
- اه مفهوم مفهوم

س : كيف تم الحادث ؟

شمس : أنا كنت هصرخ وسلمى إبتدت تعيط وكانت هتلم الناس ، فواحد منهم كتم نفس سلمى وحط أيده عليها فهيا عضدت أيده فراح إتغاظ ومسك حجر كان فى الأرض فراح ضربنى أنا كمان وجرى وانا محستش بنفسى إلا هنا فى المستشفى

س : ضرب سلمى كام مره بالحجر ؟

شمس : أكتر من خمس مرات لإنه كان متغاظ منها علشان عضدته من ايده

س : ضربك كم مره ؟

شمس : مره واحده لانه كان مستعجل وعاوز يهرب بسرعه قبل ما الناس تتلم

وكيل النيابه : طيب شكرا والف سلامه عليكى والبقاء لله يا دكتور عادل

كان مروان قد تقمص دور المحقق مرة أخرى وحاول تحليل كلام شمس جيدا فأوصله تفكيره إلى الشك فى شمس ، فكيف تستطيع تذكر كل تفاصيل الحادث بهذه الدقه بعد تلك الضربه التى أخذتها على رأسها والتى من الطبيعى أن تصيبها بفقدان للوعى وعدم التركيز لست ساعات على الاقل

لكنه عاد مجددا ليطرد هذه الفكره من رأسه لعدم وجود مصلحه لشمس فى قتل سلمى ، وإن كانت هى التى قتلتها فلماذا لم تهرب إلى حيث لا يعرفها أحد ، وكيف لفتاة ريفية كهذه ان تنفذ الجريمه الكامله دون ان تترك اية دليل يدينها

ثم عاد عقله الطفولى ليندب حظه قائلا " ليت المحقق كونان معنا ؛ كان قد حل هذا اللغز فى دقائق معدوده "

كم أنت مصيب يا مروان . ليتك تعرف أن كل ما أستنتجته كان صحيحا ؛ ليتك تتكلم كى تنقذ أسرتك من الهلاك ، ليتك لم تكُ طفلا صغيرا . ليتك لم تخضع لسلطة السن التى ستجعلهم يكذبونك فيما تقول ، وليشهد القدر أنك محقا يا بنى .

تركت سلمى وجعا كبيرا فى قلوب الجميع ، حتى فى قلب شمس التى قتلتها ، هى لاتندم على قتلها لها لأن حياتها كانت ستدمر إذا ظلت سلمى على قيد الحياة ، ولكنها تندم على انها اختارات ذاك الطريق من البدايه ، فلقد إستدرجتها الجريمه فتحولت من سارقه إلى قاتله ، لم تكن تتخيل يوما ما انها ستصل الى هذا الحد من الضياع لم تكن تتصور ان يتملكها الشيطان كما فعل معها اليوم

لعنة الله على الحب الذى يقتل الاخرين ، فها هيا تشوه صورة العشق والعاشقين ، فحتما ستذكر كتب الحب انه فى زمان ما احبت امرأه رجل وارادت ان تسرق لاجله وقتلت نفسا بغير نفس لاجله .

ستلعن الاجيال القادمة ذاك الحب وربما يُضرب المثل بقصة " العاشقة القاتله " ، لم يُخلق الحب ليقتل الاخرين ، بل خُلق ليمنح الحياة لهم ..

الحب هو تفضيل الغير على النفس ، كم ظلمتى الحب بجريمتك يا شمس !!

لمست شمس بيديها وجع تلك الاسره على ابنتها فخطر فى بالها أختها شروق ، هى الان تقريبا فى سن ضحيتها سلمى ، ربما يرد لها القدر نفس الصفعه فى أعز ماتملك ، فى الامانة التى إستئمنتها عليها والدتها قبل موتها .

كان يكفيها حتى تشعر بعظم جرمها أن ترى حزن مريم ووجهها الشاحب الذى اختفت ملامحه وعيناها التى ابيضت من البكاء على ابنتها التى كنت تحلم كأى أم أن تراها يوما ما بالفستان الابيض ، هى الان تراها بثوب أبيض أيضا ، لكنه أبيض بياض الحزن وليس بياض الفرح ، إنه الكفن ، مؤلمة هذه اللحظه ..

أما عادل فلا حول له ولا قوه ؛ إمتنع عن الكلام وأغلق عليه بابه وانقطع عن العمل لمدة أسبوع ظل خلاله يقرأ القرأن ويصلى لله داعيا أن يلحقه بإبنته وأن ينتقم ممن حرمه منها .

ليته يعلم أن ذاك الشخص هو الذى يأكل من يده كل يوم وأن من صنع هذا الحزن الذى عم البيت هو نفس الشخص الذى يصنع لهم طعامهم الذى يتقووا به حتى يستطيعوا الدعاء عليه .. (مفارقة غريبه)

أما يوسف فقد غلبه الحزن حتى تطور الأمر إلى المرض !! ، فلا أحد كان يحب سلمى كيوسف ، كيف لا وهى أول من علم بحبه القديم ، هى من واسته حتى استطاع أن ينساه ويشفى من سقم الحب

تذكر ذلك اليوم الذى دخلت فيه سلمى عليه غرفته وجلست بجانبه وسألته سؤالا كان محرجا بعض الشيئ ولكنه دل على عمق حبها له وخوفها عليه ، سألته : كيف إستطعت أن تنسى حبيبتك ؟؟

قال : لم أعد أنظر أنظر إليها

قالت : وكيف منعت نفسك من النظر إليها ؟

قال : قرأت فى أحد كتب العشق أن رجلا سألوه نفس السؤال الذى تسأليه الأن فقال " إن الله قد حرم علينا كل ما يذهب العقل ، وكلما أنظر إليها أفقد عقلى ، ولهذا إمتنعت عن النظر إليها " وكذلك أنا يا سلمى

لذا لم يستطيع يوسف مقاومة المرض الذى أصابه بعد موتها ، وجلس على فراش المرض لايدخل فى فمه شيء سوا الماء والدواء حتى أصبح كقطعة القماش ، لدرجة أنه أصبح لا يقوى على حمل سماعة الهاتف !!

هذا ما يصنعه الفقدان بالفاقدين ، الا لعنة الله على الظالمين ...

****

" السيئون لا يشعرون بعقدة الذنب لأنهم مشغولون بكونهم سيئين

الذين يشعرون بعقد الذنب هم الطيبون الذين شعروا بأن

شيئا ما أربك هذه الصفة .. "

الجمعه ١٤ فبراير :

كانت شمس على يقين بأنها قد تورطت فى هذه الجريمه وأن من ورطها هو حسن وعليه أن يجد لها مخرجا ، راودتها فكرة الهروب من المترل والعوده إلى قريتها ، لكنها تيقنت بأن هذا سيكون دليلا على أنها هى من قتلت سلمى ولابد وأنهم سيبحثون عنها وسيجدونها ويقتلوها ؛ فاستبعدت فكرة الهروب .

فكرت بالإتصال بحسن وإخباره بكل ماحدث لكنها لا تسطيع الاتصال به من هاتف المترل خشية أن يسمعها أحد ، كما أنها أيضا قد منعت من الخروج من المترل وحدها خوفا عليها من قاطع طريق أخر يفعل بها كما فعل بسلمى ، فأستبعدت فكرة الإتصال ولم يبقى أمامها سوى خيار واحد وهو أن ترسل جوابا عبر البريد .. سيصل فى يومين على الأكثر (إستقرت على هذه الفكره)

فى الثامنه مساء دخلت شمس الى غرفة يوسف الذى كان نائما وقتها ، واخذت كشكولا وقلم من على مكتبه ثم ذهبت إلى غرفتها ، كانت تريد ورقه واحده من هذا الكشكول ولكنها خشيت أن تصدر صوتا عند قطعها فيستيقظ يوسف فيكشف الأمر برمته ، لذا فضلت إصطحاب الكشكول إلى غرفتها وإعادته بعد الانتهاء .

وبالفعل ذهبت الى غرفتها واستجمعت ما بها من حزن ثُم كتبت :

" قبل السلام دعنى أخبرك سرا ..

بالأمس فى صلاتى دعوت الله أن يترع حبك من قلبى ، لكنى أعلم أنه لن يستجب لدعائى ، أتدرى لماذا ؟؟

لاننى قاتله ولن يستجب الله من القاتلين ، نعم قتلت نفسا بغير نفس ، قتلت طفله بعمر الزهور ، قتلت ابنة من أعمل لديهم ، قتلت سلمى .. ، قتلتها لانها سمعت حديثنا عن سرقة الكتر ، الكتر الذى ورطنى فيه وعليك أن تخلصنى منه ، عندما تصلك رسالتى تلك فعليك أن تجد حلا للمصيبه التى أوقعتنى فيها وإلا فلا عزاء فى الحب ، وحب نفسى وقتها سيكون هو الأهم ...

شمس العنانى "

كانت هذا الرساله بمثابة الخطوه الاولى للتخلص من حبها الذى لم يأت بخير طيلة العشر سنين ، فقط جعلها تحلم ، جعلها تنتظر ، جعلها تقتل !!

أعادت الكشكول والورقه إلى مكتب يوسف فى غرفته ثم عادت الى غرفتها ووضعت رأسها على وسادتها ودعت الله أن تنام دون أن تحلم بحسن مرة أخرى ، فقد أصبح الحب مجرد حلم بالليل وكابوس بالنهار،لعل الواقع أفضل بالنسبة لها ، أغمضت عينها ثم سلمت نفسها للنوم حتى غلبها .

****

السبت ١٥ فبراير :

إستيقظت فى السادسه كالعاده ، وانتظرت حتى أتى بائع اللبن فى السادسه والنصف فأخذت اللبن ثم طلبت منه أن يأخذ منها جوابا ويضعه فى مكتب البريد ، فوافق بلا تفكير وأنتظرها كما طلبت حتى تُحضر الجواب من غرفتها ، وعندما دخلت لتحضره كانت الصاعقه !!

لم تجد الجواب تحت وسادتها كما ظنت ولا حتى على الأرض ، قلبت الغرفة رأسا على عقب فلم تجده أيضا لتتذكر ما كانت تستبعده :

"لقد نسيت أن تقطع الورقه من الكشول "

أى مصيبة تلك التى نزلت بها الأن !!

أسرعت إلى غرفة يوسف لتقطع الورقه من الكشكول لكنها جاءت متأخره !! ، فقد كان يوسف قد إستيقظ بالفعل وأمسك بالكشكول ليبحث عن شيئ كان قد كتبه فيه ، وهنا إسود كل شيئ فى وجه شمس فإعترافها بجريمتها قد أصبح الأن فى يد يوسف الذى لن يرحمها عند قرأته ، ربما قرأه !! ، أو ربما لم يقرأه ، لكنه بالـــتأكيد سيقرأه . (هذا ما دار فى ذهنها فى هذه اللحظات)

أيقنت أنه لم يقرأ هذا الورقه حتى الأن وإلا ما كان هذا هو رد فعله ،وهنا نزل بها التفكير الشيطانى مرة أخرى لتردد تلك الجمله التى جعلتها تقتل سلمى ، لمعت عيناها ثم قالت فى نفسها " حياة بحياة والكاشف أخطأ "

إقتربت منه شيئا فشيئا فحدق بها ثم سألها :

- ما بك يا شمس ؟

فأجابته وهى تبحث عن أداة جريمتها :

- لا .. مفيش مفيش

عاد ليكمل تقليب أوراق صفحات الكشكول الذى بين يديه بينما تظاهرت هى بتنظيم الغرفه .. وفجأه !!

سمعته يتمتم بكلمات رسالتها فعلمت أنه قد وصل إلى تلك الصفحه التى نسيت أن تقطعها أمس ، فنظر إليها نظرة حاده وقبل أن ينطق بكلمة واحده باغتته هى بوضع الوساده على انفه وضغطط عليها أكثر فأكثر حتى إنقطعت أنفاسه .. كانت تعلم أن مرضه سيمنعه من مقاومتها فأستغلت ذلك فى تنفيذ جريمتها .

خرجت مسرعة من باب الغرفه بعد أن أعادت كل شيئ فيها كما كان وأخذت تلك الورقة الملعونة معها واتجهت الى الباب لتعطيها لبائع اللبن ، لكنها لم تجده حيث تركته !! ؛ علمت أنها قد تأخرت عليه فغادر .

عادت مسرعة إلى المطبخ وقامت بحرق الورقه كى لا يعثر عليها أحد ثم باشرت عملها بتجهيز الإفطار وكأن شيئ لم يكن !!

السابعه صباحا

تجمع الجميع لتناول طعام الإفطار عدا مريم التى ذهبت إلى غرفة يوسف كى تعطيه الدواء ، وبعد لحظات صرخت صرخة هزت أرجاء المنزل فتجمع الجميع فى غرفة يوسف ، وقتها علمت شمس انهم قد إكتشفوا وفاته ، لكنها تظاهرت بأنها لا تعلم شيئ وذهبت إلى الغرفه كالبقية !!

عادل بصوت وجلّ بعض الشيئ :

- ايه فيه ايه !؟

مريم : يوسف مبيرودش ، وعماله أهز فيه وهو مبيتحركش !!

إقترب عادل منه ووضع أذنه على صدر يوسف ثم قال :

- دا إغماء أو غيبوبه

مريم وهى تحاول أن تتماسك :

- طب والعمل أيه !؟

عادل وهو يخرج من الغرفه :

- متقلقيش أنا هاغير هدومى بسرعه وهانزل أجيبله دواء وتنفس صناعى من الصيدليه وإن شاء الله هنلحقه

مريم وقد تساقطت الدموع من عينها :

- يا رب ، يارب .. بسرعه يا عادل

فى هذا التوقيت شعرت شمس أنها على وشك الإنكشاف ، وأن يوسف إذا إستفاق فستصمت هى إلى الأبد .. لذلك عليه أن يصمت هو !!

هى تدرك أنها لا تستطيع الإقتراب منه الأن ، فالجميع ملتف حوله ، لكنها تستطيع إيقاف من يمكنه إنقاذه ، تستطيع إيقاف عادل ..

وهنا تقمصت دور الشيطان ثانية ورددت جملتها المعتاده التى قالتها قبل قتل أيّ من ضحاياها " حياة بحياة والكاشف أخطأ "

إستغلت وجود عادل بغرفته لتغيير ملابسه ونزلت مسرعة إلى المكان الذى توجد به سيارته وقمت بفك الفرامل !!

أمر تعلمته من الأفلام ، فهو الأن " لن يستطيع التحكم فى سيارته وبالطبع سيمنعه إستعجاله من التأكد من وضعية الفرامل ".. (هذا ما إستندت إليه)

وبالفعل نزل عادل ليركب سيارته ويحضر الدواء ، بينما صعدت شمس لتجلس فى غرفة يوسف بجانب البقيه وهى تنتظر من يتصل ليعلن خبر وفاته !!

بعد دقائق رن الهاتف لترد مريم التى كانت فى حالة إضطراب وقلق شديدين على يوسف ، هى لا تعلم أن الرد على هذا الهاتف هو بمثابة الضربة القاضية لأعصابها ، لكن القدر ساقها لذلك ..

رفعت السماعه وردت بالامبالاة :

- الوو .. مين

الضابط : أيو يا فندم ، منزل الدكتور عادل ؟؟

- أيوه .. بس هو مش موجود دلوقتى
- ايوه ما أنا عارف
- عارف !! هو مين حضرتك ؟؟
- الرائد علاء من قسم شرطة العجوزه

ردت وقد تسلل القلق إليها :

- قسم !! ، تسمح تفهمنى هو فيه ايه بالظبط ؟
- للأسف يا فندم ، الدكتور عادل عمل حادثه بعربيته من شويه

صرخت مريم لتصل الرساله إلى شمس بنجاح خطتها ، ثم تمالكت مريم نفسها وسألت الضابط :

- حادثه !! يا نهار إسود ، طب هو فين دلوقتى !؟

- **فى قسم العجوزه**

ألقت مريم بسماعة الهاتف وانطلقت إلى المستشفى بعد أن إصطحبت مروان معها ، وطلبت من حكمت الجلوس بجانب الهاتف لمتابعة ما يحدث .

بعد خروج مريم مباشرة ، زحفت شمس نحو غرفة يوسف تريد الإجهاز على يوسف الذى مازال يدب فيه النفس ، تناولت الوساده وأطبقت عليه حتى تيقنت أنه مات ، يقينا لا يحتمل الشك ثم إلتفتت لتتلقى المفاجأة التى لم تعد لها !!

كانت حكمت خلفها أثناء خنقها ليوسف لكنها لم تستطيع الحركه وتسمرت فى مكانها من هول الموقف ..

الأن أصبحت حكمت أهلاً لمقولة شمس التى ترددها عند الشروع فى تنفيذ أية جريمة من جرائمها ..

إتجهت نحوها متجاهلة كبر سنها وضعفها ، ولم يوقفها بكائها ، وضعت يدها على فمها وأطبقت عليها وكتمت أنفاسها .. لم يستغرق الأمر أكثر من ثلاثين ثانيه ، لتلحق بحفيدها يوسف الذى يستلقى هو الأخر قتيلا بجانبها .

لم تجد شمس وقتها مفرا من الهرب بعيدا عن هذا المترل ، فحتما سينكشف أمرها بعد قتلها لحكمت ، الأمر إذا لم يعد أمر البحث عن الكتر ، بل أصبح ما يشغلها هو البحث عن الحياة ، فبالطبع وجودها فى هذا المترل لم يعد أمناً

لملمت أغراضها سريعا واتجهت ناحية الباب تقصد الرحيل ومن بعده الإختفاء ، لكن القدر أراد لها أن تسبح أكتر فى بحر الجريمة ، فساق لها مخرجاً .

أثناء خروجها رن الهاتف المترلى ، فكرت فى تجاهله ، لكن قدماها أخذاها إليه علّه يحمل أمراً تنتظره .. وبالفعل كان المتصل " مريم "

قالت وسط حالة من هيستاريا البكاء :

- عادل مات يا حكمت .. ابنك مات

سمعت شمس كلامات مريم ثم أغلقت سماعة الهاتف دون أن ترد عليها ، لتبدأ بذلك فى تنفيذ الخطة التى أتت بها من هناك حيث تسكن الشياطين !!

دخلت إلى غرفة يوسف وسحبت جثة حكمت إلى أن وصلت بها فى ساحة الشقه وبالتحديد بجوار الهاتف .. تماما كم طلبت منها مريم قبل خروجها !!

كانت خطتها هى أن يظهر موت حكمت وكأنه موت مفاجئ على إثر صدمة قلبيه تعرضت لها بعد سماعها بخبر وفاة إبنها .

خطة من عالم أخر ، عالم لا يعرف الإنسانية

عاودت مريم الإتصال مرة أخرى فردت عليها شمس حيث تظاهرت بالبكاء ، فسألتها مريم عن حكمت ، فردت :

- مش عارفه أول ما ردت على التليفون أغمى عليها وبقالى ساعه بفوقها مبتفوقش ، وانا مش عارف أعمل ايه !؟

مريم وهى منهمكة فى البكاء:

- يا ربى هى ناقصه حزن ، أنا هاجيب دكتور من المستشفى وجايه ..

بعد أقل من نصف ساعه وصلت مريم ومعها الطبيب الذى أعلن ما كانت تنتظره وتتمناه وخططت له شمس .. " وفاة حكمت بأزمه قلبيه "

إنهارت مريم فور سماعها لكلام الطبيب ، وكأن المصائب كلها قد تجمعت وصفعتها صفعة واحده أفقدتها كل شيئ يستطيع الإنسان العيش من أجله ..

كان منظرا مهيبا عصر الأحد الموافق السابع عشر من فبراير ، حيث إنطلقت جنازة يوسف والدكتور عادل والسيده حكمت ، الام وابنها وحفيدها ، وأى قلب لا ينفطر عندما يرى

منظرا كهذا ؟؟ ، وأى عين تستطيع الصمود ومنع البكاء أمام هذا المشهد الذى أضفى الحزن على حى العجوزه بالقاهره .

كان على شمس أن تتوقف عن هذا ولو من أجل حبها لحسن الذى أصبح ممزوجا بالدماء ، كان عليها أن ترحل وتترك مريم ومروان يعيشان حتى ولو من أجل أن يأخذا قسطا من الحزن أو يتوقفا مع الذكريات .. فما فعلتيه لم يكن هينا يا شمس ..

كان هذا هو نداء ما بقى من رحمة فى قلبها ، عندما تقتل أربعة أشخاص فى إسبوع واحد فعليك أن تضع يدك على قلبك وتتأكد : هل مازال ينبض أم أنه قد توقف .. بالطبع ستكون إجابتك هى : توقف ، إذا شمس أصبحت الأن بلا قلب !!

ليت القدر يكتب لها الرحيل عن هذا المنزل الذى دمرته وأفسدت حياة سُكّانه ..

أمّا مريم فلم يمنعها ما هى فيه من حزن عن التفكير ولو قليلا فيما حدث لأسرتها ، هى لا تصدق أن كل ما حدث هو محض صدفة أو مجرد صفعة من القدر !!

شعرت أن الأمور كلها كانت مرتبة وأن شخصا ما أراد لكل ما حدث لإسرتها أن يحدث ، ومع ذلك لم يخطر فى بالها أن هذا الشخص ربما يكون شمس !!

****

الثلاثاء ١٩ فبراير :

دق الهاتف فى التاسعة صباحا وكان يحمل اتصالا من أحد أصدقاء يوسف ..

ردت مريم على المتصل الذى قدم لها واجب العزاء ثم طلب منها أحد الكتب كان قد أخذها منه يوسف قبل موته ، ثم اختتم قائلا أنه سوف يحضر ظهراً لأخذه

دخلت مريم إلى غرفة يوسف للبحث عن الكتب ، هى لا تعلم أن هذا الإتصال رسالة من القدر الذى أراد لها أن تكتشف شيئا ما .. وبالفعل إكتشفته

أثناء بحثها عن الكتاب داست قدمها على شيئا ما وعندما نظرت إليه كانت المفاجأة التى قلبت الأمور رأسا على عقب ، إنها نظارة حكمت• !!

كان أمرا محيراً إلى حد الجنون ، فكيف ذلك وهى قد تركتها بجانب الهاتف ولم تتحرك من جانبه إلا إلى القبر بعد موتها ، فكيف دخلت النظاره إلى غرفة يوسف ؟

وإن كانت فرضا قد دخلت إلى غرفته للإطمئنان عليه فبالطبع ستلتفت إلى سقوط النظاره منها ، فهى لا تستطيع السير بدونها اطلاقا ..

ومن كل هذا يتبين أنها لم تخرج من الغرفة وحدها ، شخص ما حملها أو سحبها ، ربما يكون قد فعل ذلك بعد أن .. بعد أن قتلها !!

أطلق هذا الإستنتاج إنذارا فى ذاكرة مريم ، فجعلها تستدعى كل ما سبق وتسرد الأحداث التى حدثت منذ اليوم الأول فى هذا الشهر وبالتحديد منذ قدوم شمس ..

بدأت من مكالمة شمس مع حسن وكيف تغيرت بعدها وأصبحت صامتة أغلب الأوقات !!

ثم إسترجعت يوم قتل مريم وكيف نجت شمس يومها وكيف كانت الجريمة بدافع السرقة مع أنه لم يتم سرقة أى شيئ ..

ثم توقفت عند موت يوسف الذى إستقرت حالته قبل موته بيومين .. فكيف ساءت فجأة إلى حد الموت ..

وعادل أيضا ، لم يمت نتيجة حادثة تصادم عاديه ، بل انقلبت سيارته بسبب عدم قدرته على التحكم فيها هذا يعنى أنه شخص ما أراده أن يفقد السيطرة على الفرامل

وحكمت التى لا تتحرك بدون نظارتها ، كيف تركتها وخرجت إلى الصالون ، ولماذا دخلت غرفة يوسف بالأساس !!

كل هذه الإستنتاجات قادتها إلى حقيقة واحده لا تحتمل الشك هى أن من فعلت كل هذا وزرعت الخراب فى البيت .. شمس !!

كاد يقتلها سؤالٌ لم تجد إجابته وهو : لماذا فعلت كل ذلك ؟؟

هل حرضها أحدا علينا ودفع لها مقابل التخلص منا ؟ لكن من ولماذا ؟

منعتها هذه الأسئله من إبلاغ الشرطة ، فضلت معرفة إجابتها أولا كى يطمئن قلبها ، ستواجهها إذاً وستحاول إستدراجها

كانت شمس فى المطبخ وقت أن إكتشفت مريم كل ذلك ، دخلت عليها وهى تحمل ابنها شادى ثم إصطنعت الحوار وهى عاقدة العزم على إيقاعها ..

قالت وهى تدلل ابنها :

- تعرفى يا شمس .. أنا ابتديت أشك فى كل اللى بيحصلنا دا

ردت وقد ظهر عليها الإرتباك :

- مش عارفه والله .. كان مستخبيلكوا فين دا كله ، ربنا يصبرك

ردت مدّعية المزاح :

- وسبحان الله ، كل دا إبتدى يحصل من بعد ما انتى جيتى البيت

قالت وهى تبادلها مزاحها :

- هههههههههه وشي وحش أنا عارفه

إنهت المزاح لتبدأ الجد قائلة :

- أو ممكن يكون إنتى اللى موتيهم مثلا

ظنتها تمزح فأجابتها :

- وأنا أموتهم ليه يعنى .. من غير سبب كده

ردت بنفس الجديه :

- مش عارفه ، ما دا اللى هيجننى

شمس وقد احمر وجهها :

- تقصدى أيه ؟ ، هو انتى بتتكلمى بجد ؟؟

قالت بجدية أكثر وهى تتجه نحو الهاتف :

- أومال ههذر معاكى ، ع العموم أنا هابلغ البوليس وهو هيكتشف كل حاجه

ولكن شيطان شمس لم يتركها تذهب كيف هذا وقد انطبقت عليها تلك القولة الشهيرة التى ترددها عند قتل ضحاياها ..

ركضت خلفها ممسكة بطبق ثقيل وضربتها به على رأسها ففقدت الوعى، ثم سحبتها إلى المطبخ وشغلت محابيس الغاز ونزلت إلى السوق وتركتها حتى يظهر الأمر وكأنه إختناق عادى

حتى أنها لم ترحم بكاء شادى ابن الأربعة شهور ..

بعد نصف ساعة وصل مروان الى البيت بعد المدرسة ليجد أمه تختنق .. إتصل بالمستشفى لكن وقت الإنقاذ قد فات ، حدثته بكلمات مختنقه ثم لفظت أنفاسها الأخيرة وماتت لتلحق بشادى الذى مات بعد أقل من دقيقة بعد شمه للغاز

بعد ساعتين عادت شمس الى البيت وتظاهرت بالتفاجئ بما حدث وصرخت وهى من داخلها ترقص فرحا بموتها

وكالعاده تم تقييد الحادثه كحالة إختناق عادى ، ليصبح مروان فى رعاية شمس بحكم أنه لا يعرف غيرها

أصبح البيت خاويا على مروان الذى لم يكن له فى هذه الحياة سوى أسرته التى راحت ضحية جشع وقسوة شمس ، حتى انه لم يكن يملك أقارب من ناحية أبيه أو أمه ، هو الأن ليس له إلا رب هو قادر على أن ينجيه من فتك شمس التى تولت حضانة الطفل بحكم أنها الراعى الوحيد له ، الأمر الذى كانت تتمناه وها هو يحدث ، ولكن مالم يحدث هو أنها لم تعرف مكان الكنز حتى الأن .

فكرت فى الهرب والعوده إلى قريتها والنفاد بنفسها ، لكنها تراجعت عن ذلك بزعم انها قد فعلت كل هذا من اجل الكنز ، وليس من الطبيعى تضييع كل ما سبق وهى على بعد خطوه منه .

****

هناك نظريه تقول : يستغرق الإنسان ٢١ يوم حتى يصبح ما يفعله عاده ، ويستغرق أيضاً ٢١ يوم حتى يتخلص من هذه العادة ..

الخميس ٢١ فبراير :

كانت شمس تجلس فى الصالون تقرأ إحدى الجرائد عندما دخل عليها مروان وهو يحمل كوبا من الشاى .. سحب أحد الكراسى وجلس بجانبها ثم قال بعد أن أخذ الرشفة الأولى :

- والدى برضه كان بيحب يقرأ الجورنال

توقفت عن القراءه ثم قالت وهى لا تنظر اليه :

- الله يرحمه

سألها بمكرٍ طفولى واضح :

- تفتكرى مات إزاى ؟؟

إدعت أنها تقلب صفحات الجورنال ثم قالت

- هيكون مات إزاى يعنى !! دى ارادة ربنا

أخذ الرشفة الثانيه ثم قال وكأنه تذكر شيئا :

- ويوسف برضه .. مرضه مكنش خطير لدرجة انه يموت بيه

صمتت لبرهه وقبل ان تتكلم إستدرك هو كلامه قائلا :

- أكيد دى إرادة ربنا برضه

قلبت صفحه أخرى من الجورنال ثم نظرت اليه وقالت :

- طب كويس انك عارف .. ادخل ذاكر بقا

أخذ رشفة ثالثه ثم واصل حديثه الماكر قائلا :

- سلمى دى حظها وحش جدا .. طول عمرنا عايشين وعمرنا ما سمعنا عن قطاع طرق أو بلطجيه فى منطقتنا دى .. بس يالا جت فيها بقا

وضعت الجريده على الطاوله بعد أن أغلقتها ثم قالت :

- انته عاوز ايه من الاخر ، بتلف وتدور على ايه ؟؟

أخذ الرشفة الأخيره من كوب الشاى الذى كان بيده ثم اقترب منها وقال :

- أنا عاوز أعرف إنتى ليه مقتلتنيش !؟

نزلت كلامات مروان على شمس كالرصاصة وملاء العرق وجهها فحاولت أن تتماسك ثم قالت :

- وأنا أقتلك ليه

رد بالرصاصة الثانيه :

- زى ما قتلتى أهلى كلهم

لم تستطع قدم شمس أن تحملها من هول الصدمه ، وكأن مروان قد أمسك بمطرقه وبدأ بهدم البيت التى بنته طيلة الفتره الماضيه وكشف كل شيئ بداخله .

إستدرك مروان مقاطعا صمت شمس قائلا :

- يعنى سكتى يعنى ، طبعا مفيش كلام تقوليه

إبتلعت ريقها وحاولت ان تتماسك قليلا ثم قالت :

- ايه الكلام اللى انته بتقوله دا يا مروان ، دا أنا أأ...

قاطعها ، ثم أطلق وابل من الإدلة قائلا :

- مين اللى اتصل ساعة حادثة سلمى واختفى مع ان مفيش حد غريب يعرف رقم البيت وكنتى بتعملى ايه فى اوضة يوسف الصبح بدرى وماما .. ماما كمان وهى بتموت قعدت تقول شمس .. شمس .. بس مفهمتش ساعتها قصدها ايه !!

قاطعته هى هذه المره واصتنعت البكاء وارتمت على الأرض وهى تقول :

- أنا أسفه .. سامحنى

أشار بيديه إلى صوره فى الصالون تجمع جميع افراد العائله ثم قال :

- ومين هيجيب حق دول !! ، لازم تموتى زيهم وتاخدى عقابك، أنا هابلغ البوليس

هنا لم يعد أمام شمس سوى تقمص دور الشيطان مرة أخرى ، فرددت فى نفسها قولتها الشهيره التى أصبح يوسف أهلا لها .." حياة بحياة والكاشف أخطأ "

ستقتله إذا !! ، فالامر لم يعد صراعا على الكتز بل صراعا على البقاء ..

فكرت فى لحظات إن كانت الشرطه ستستمع لكلامه !!

هل سيصدقون طفل صغيرا !!

قررت ألا تترك شيئا للصدف وأعدت نفسها للقضاء عليه ..

إنقضت عليه من الأرض فجأه وأمسكت برقبته محاولة خنقه .. فعض يدها اليسرى ثم ركض داخل المترل إلى أن فكر فى إطفاء الأنوار أثناء ركضه لتضليلها ، فعند إنعدم الرؤيا لن تستطيع العثور عليه !!

وبالفعل ساد الظلام واختبئ مروان ليبدأ الكر والفر ، هو يعلم أنها لا تحفظ هذا البيت جيدا كما يحفظه هو .. إذاً سيجد طريقا للإختباء !

كانت شمس فى هذه اللحظه تشعر بظلامين ، ظلام فى الرؤيه وظلام فى القادم ، فهى الأن قد إنكشف أمرها ، وخروج مروان من البيت يعنى خروج روحها معه ..

فلا مفر من الاعدام إن وصل مروان إلى قسم الشرطه وأبلغهم بكل شيئ .. ستقاتل إذن من أجل حياتها !!

أخذت شمس تبحث عن مروان فى كل مكان على أضواء الشموع وهى عازمة على انهاء تلك المهذله .. لم تترك شبرا فى البيت دون ان تبحث عنه فيه حتى تيقنت انها لم تترك مكانا يمكن لمروان ان يختبئ فيه دون تنقيب .. إستفزها هذا الأمر كثيرا فصرخت صرخه رجت البيت وقالت :

- مش هتخرج حى ، مش هتخرج .. يا أنا يا أنته ..

كان الرعب قد تملك مروان فى هذه اللحظات ، هو لا يأبه بحياته ولكنه يريد أن يقتص لأسرته التى لم يعد لها وجود بسبب طمع تلك الفتاة ، يعلم أنه سيلتقى بهم إذا مات ، ولذلك يريد أن يرفع رأسه عند لقائهم .. يريد القصاص .

أراد أن يطرد هذا الخوف فبدأ بقراءة المعوذتين وبعض الصور القصار ، هذا ما علمه له والده ، يوما قال له :

" الخوف يخاف من القرأن ، فاجعل فى قلبك شيئ منه ، إستودع الله نفسك واطلب منه حفظهاواعلم أنه خير الحافظين " .....

سقطت من عينه دمعتان عندما تذكر كلام والده ، أراد أن يبكى كما تبكى الأطفال ، لكنه تذكر ما قالته له أمه أيضا ، قالت له يوم عاد من مدرسته باكيا بعدما أحرجته معلمته أمام زملاءه :

" إذا أردت البكاء فلتتلخلى عن رجولتك ، فلا تبكى وانت رجل ، خلقنا نحن النساء لنبكى ، وخلقتم انتم الرجال لتمسحوا دمعنا .. تذكر ذلك جيدا "

إذاً هى معركه !! ، والفائز فيه هو من يخرج على قدميه من هذا المترل ، أحضرت شمس أحد سكاكين المطبخ التى وُجدت لكى تخدم أهل البيت لا لتقتلهم ، ثم طافت مرة أخرى بحثا عن ضحيتها السابعه .

كانت توقن انها اذا وجدته فلن يستغرق الأمر أكثر من عشر ثوان ، ستقضى عليه بطعنة واحده ، أو ربما ستجده قد مات فى مخبئه من الخوف الذى كان يحاربه مروان بكل ما أوتى من القرأن ، لكنه لا يستطيع محاربة الذكام المزمن الذى يعانى منه ، سينكشف أمره إذا عطس !!

النوم .. عدو أخر كان يحارب مروان ، ولا ينجو أحد من مصارعة النوم ، فهو يخشى إذا ما نام أن تعثر عليه شمس فتقتله دون مقاومه !!

عذاءوه أنه إذا حدث ذلك فلن تستطيع أن ترى الخوف فى عينه .

حاول المقاومة أكثر لكنه لم يستطع .. فنام فى مكانه بعد ساعتين من الإختباء .. كانت الساعة وقتها تدق لتعلن تمام العاشرة مساء ...

شمس أيضا أرادت النوم ، لكنها تريد الحياة أكثر ، فهى فى كابوس الأن ، سينتهى إذا إنتهت حياة مروان ، كل ما تتمناه هو قتله والعوده إلى قريتها ومحو هذا الشهر من سجلات ذاكرتها وبدء حياة جديده مع " حسن " .

نامت فى الواحده صباحا بعدما أغلقت كل النوافذ والأبواب التى يمكن أن يخرج منها مروان .. ساقها القدر الى النوم على الأريكة التى تتوسط المنزل .. بالطبع لم تكن تعرف أن مروان يختبئ تحت هذه الأريكه !!

كم أنت زكى يا مروان .. إختار الإختباء فى المكان الوحيد الذى لا يمكن لشمس أن تبحث عنه فيه .. فهو يعلم أن ظهر شمس يؤلمها كثيرا كما أنها تعانى من مرض الغضروف .. لذلك لن تستطيع الانحناء للبحث عنه إذا ما إختبئ تحت أى شيئ منخفض كالأريكه .. (تفكير غير مقبول من طفل فى المرحله الابتدائيه)

إستلقت على الأريكة ومنت نفسها أن يعطس مروان لتحدد مكانه وتقضى عليه لينتهى هذا الصداع الذى سببه لها مروان بذكاءه .

إذن كلا منهما يعرف نقطة ضعف الأخر .. (الذكام والغضروف) ، إستغل مروان نقطة ضعف شمس وأختبئ فى المكان المناسب ، لكنها لم تستغل نقطة ضعفه بعد ، أو بالأحرى " القدر لم يتح لها الفرصه " .

غطت فى النوم تمام الثانية عشر صباحا ، وقتها كان قد مر على نوم مروان ساعتين

****

" حين تشتاق لأشخاص بشده ، يصبح العالم كله وكأنه خالٍ من البشر "

الجمعه ٢٢ فبراير :

التاسعه صباحا

إستيقظ مروان أولاً ليجد نفسه فى هذه الورطه ويسترجع كل ما حدث بالامس ، وعلى بعد سنتيمترات رأى قدم من قضت الليل بحثاً عنه لتقتله .

كل ما كان يتمناه هو أن يصل إلى قسم الشرطه ويروى لهم كل ما حدث ، لكن الأمر بدا صعبا بعد الشيء ففكر بإحضار الشرطه إليه بدل من الذهاب إليهم .

عزم مروان على الإتصال بالشرطه عبر الهاتف ، فزحف حتى خرج من تحت الأريكة واقترب من الهاتف وطلب رقم الشرطه الذى يعرفه القاصى والدانى .

رد الضابط متعجبا من هذا الإتصال المبكر:

- الووو مين !؟

مروان بصوتٍ منخفض :

- ايوه .. حضرتك البوليس ؟

الضابط وقد بدا عليه الغضب :

- ايوه يا حبيبى البوليس .. عايز ايه ؟؟

مروان وقد حافظ على صوته المنخفض :

- طب إلحقنى بسرعه علشان الخدامه عاوزه تقتلنى

الظابط وقد وصل إلى قمة الإشتعال من الغضب :

- أأه .. شكلك بتسمع فيلم رعب وكده .. إتغطى كويس يا حبيبى وسيبونا نشوف شغلنا بقا حرام عليكوا .. ثم أغلق الهاتف

مروان وقد أعلى من صوته قليلا :

- ألو ألو ألو ...

علم مرون أن الظابط قد ظنه غير جاد فى كلامه ، فحاول الإتصال مرة أخرى عله يستطيع شرح الأمر له هذه المره ..

عاود الإتصال مجددا وما أن رد عليه الضابط حتى إستبقه بالكلام قائلا :

- أنته مش عاوز تصدق ليه يا عمو إن الخدامه هتقتلنى و .....

وفجأه إنقطع الخط !!

إلتفت للخلف ليجد شمس ممسكة بالسكين وتصوبها نحو ظهره بعد أن قطعت بها سلك الحراره لينتهى كل شيئ (هكذا ما كانت تظنه) .!

كان الضابط بعد إنقطاع الخط فى حيرة من أمره ، فهو لا يعرف بعد أكان هذا الطفل جادا أم أنه يداعب الشرطه ، وإن كان كذلك فكيف يتركه أبواه يفعل ذلك دون أن يـــــــــــ ..... لحظه !!!!!!

أبواه وخادمه وطفل !!

دا أكيد إبن الدكتور عادل اللى إسرته كلها ماتت !!

إنتفض من مكانه واتجه نحو الباب وصرخ قائلا :

- يا عسكرى جمعه ، حضر القوات بسرعه وهات عنوان الدكتور عادل الشريعى من الأرشيف بسرعه ، فيه طفل هيموت دلوقتى لو ملحقناهوش !

فى هذه الأثناء كانت سكينة شمس على رقبة مروان ، ولا يوجد أسعد من شمس حينها لانها تيقنت أن ساعات الخوف قد إنتهت وانها على بعد سنتى متر واحد من الراحه التى تتمثل فى قطع رقبة مروان الذى تصبب عرقا من الخوف .

بكى وأشتد فى البكاء لعل الرحمة تعرف طريقها إلى شمس . لكنها كانت قد أغلقت كل الطرق التى يمكن أن تدخل منها الشفقة إليها .

أغلقتها عندما قتلت طفله فى الخامسة عشر ! ، أحكمت إغلقها عندما قتلت طفل بعمر أربعة شهور .. بالطبع كل محاولاتك يائسة يا مروان ، وما دمت ستموت وتلتحق بعائلتك فلتمت إذاً رجلا !

توقف مروان فجأة عن البكاء ثم أغمض عيناه وتمتم بالشهادتين ثم فتحها و نظر إلى شمس وأبتسم.. درس تعلمه من مشهد وفاة أمه .. كانت تختنق من الغاز فدخل عليها فأمسكت برأسه ولقنته كلمات بصوت مختنقمن عالم أخر .. قالت له ما لا يدرس إلا للجندى قبل دخوله ساحة المعركه .. قالت :

" ما دمت ستموت فلتجعل أخر مشهد فى حياتك لعنة على أعدائك ، أمام الرصاص إبتسم وأنظر إلى قاتلك وألعب فى شاربك ، أقتله بنظراتك فهى أقوى من طلقاتك ، كم قتلتنا الحياة تدريجيا !! ، فلماذا نخاف وهى تقتلنا برصاصة واحده ، أخبرك سرا ؟؟ ، لن تؤلمك هذه الرصاصه كما أألمتك الحياه "

كان درسا إستثنائيا ، أعطته أم إستثنائيه لطفل إستثنائى فى لحظات إستثنائيه ، فالرائعون حقا هم من يتخيرون الظرف المناسب لإعطاء الدرس المناسب للشخص المناسب ، لذا إستحق هذا الدرس التطبيق !!

ذُهلت شمس من تغير مروان المفاجئ ، قتلها بإبتسامته وأمسك بيدها وأشار إلى رقبته وهو مازال محافظا على إبتسامته ثُم قال :

- بسرعه لو سمحتى علشان مستعجل

ردت بتحديق وإندهاش :

- مستعجل على أيه ؟

أجاب وهو مازال محتفظا بإبتسامته :

- عاوز أشوفهم

تملقته بعينها ثُم سألته :

- عاوز تشوف مين ؟؟

نظر إلى تلك الصوره التى تتوسط المنزل قائلا :

- أهلى اللى موتيهم قدام عينى ..

لم تتكلم وبدت ملامحها كأنها تندم فقاطع مروان ندمها قائلا :

- ألا صحيح .. إنتى موتيهم ليه ؟؟ ، كنا كلنا بنعملك كويس وبنعتبرك واحده مننا !

ردت بعصبيه :

- أهلك ماتوا بسبب حضرتك

ذُهل مروان من كلام شمس ثم أستنكر قائلا :

- بسببى أنا !! ، طب إزاى

ردت بما إستدعى سخرية مروان :

- علشان مبتصحاش بدرى من النوم

لم يمنعه هول الموقف .. فانفجر من الضحك ثم توقف فجأة وصرخ قائلا :

- إنتى مجنونه ولا أيه ؟؟ ، بتموتى أسره بحالها علشان فيهم واحد مبيصحاش بدرى !! ، أيه دخل دى فى دى !!

إنتى عارفه إنتى مش مفروض تدخلى السجن ، المكان المناسب ليكى هو مستشفى المجانين ..

إستفزتها سخرية مروان كثيرا فصرخت فى وجهه قائلة :

- علشان الكتر اللى عندكوا يا متخلف

فاجأته بما قالت ففاجأها هو برده قائلا :

- كتر ايه اللى بتتكلمى عليه ، إحنا معندناش كتر ولا بنشيل فلوس فى البيت أصلا ، لما يكون عندنا فلوس بابا بيحطها فى البنك

تحسست فى كلامه المكر فتملقته وقالت :

- الكتر اللى ابوك قالك عليه لما كان بيصحيك من النوم من شهرين ، الكتر اللى قعدتوا تحوشوا فيه طول عمركوا

إنفجرمروان من الضحك لم يتمالك نفسه حتى أنقلب الضحك لبكاء ثم سألها :

- يعنى إنتى قتلتى عيلتى كلها علشان الكتر دا !!؟

أجابت بإستخفاف :

- أيوه .. ويا رتنى إتلقيته فى الأخر !

قال لها بلغة جاده :

- طب تحبى تعرفى مكانه قبل ما تموتينى !؟

إستغربت عرضه ، لكنها ردت بتخوف :

- ماشى ، بس عارف لو طلعت بتضحك عليا ها ..

قاطعها وقال بجدية أكثر :

- الكدب ملهوش لزمه ، أنا عاوز أريحك قبل ما أموت واديكى اللى إنتى بتدورى عليه من زمان

.. ثم أشار إليها وهو يدخل الغرفة قائلا :

- تعالى ورايا

إنطلق مروان نحو غرفة أبيه ومن وراءه شمس ممسكة بالسكين وممسكة بقلبها أيضا ، تشعر أن مروان سيفاجأها بما سيقلب الطاولة رأسا على عقب ، لكنها طمئنت نفسها بأنه مهما فعل فلن يستطيع الإفلات منها ، ولا أفلح طفل صغير مع قاتلة الكبار .. (بهذا طمئنت نفسها)

بعد أن دخل الغرفة سحب أحد الكراسى ووضعه بجانب الدولاب ومد يده ليحضر من فوقه شنطة جلد سوداء يكسوها الغبار ، أزاح الغبار بيديه ثم قال :

- إتفضلى .. دا الكنز اللى والدى كان بيكلمنى عليه

قالت وهى تحدق فى الشنطة :

- أيه دا !! ، الشنطه دى فيها أيه ؟؟

أجاب بثقة :

- الكنز اللى إنتى بتدورى عليه ، الكنز اللى غير حياتنا وهيغير حياتك ، الكنز اللى لو كنا نعرف إنه هيبقى فى يوم سبب موتنا مكناش إحتفظنا بيه

إزداد تعجبها ثم سألته بعد أن أمسكت بالشنطه :

- فلوس دى ولا دهب ولا مجوهرات ؟؟

تراجع خطوة للخلف ثم أشار بيده إلى الشنطة قائلا :

- إفتحيها وإنتى تشوفى

أوصلها تفكيرها إلى الجزم بأن مروان قد وضع قنبلة فى هذه الشنطه ، ستنفجر عند فتحها ، لكنها إستبعدت هذا عندما رأت مروان بالقرب منها ، فالبطبع هو لن يقتل نفسه . (تفكير منطقى)

فتحت شمس الشنطه لترى الكتر الذى سُفكت من أجله الدماء وتبددت فى سبيله الأحلام ، وكأن ما رأته فى الشنطه قد نزل عليها كالقارعه ، لقد كان مافى الشنطه مجرد مجموعه من الصور التذكاريه للعائله !!

توقفت عن الكلام وحدقت بعينها داخل الشنطه وقالت بصعوبة نطق بالغه :

- هو دا الكتر !؟

أجاب بتلك الثقة التى قتلتها :

- أيوه هو دا ، ياريت كنتى إستنتى وسمعتى كلام والدى معايا لأخره لكن تفكيرك الشيطانى خلاكى تسمعى كلمة الكتر بس وتجرى علشان تخططى إزاى تسرقيه ، تكملة الكلام هى :

" هذا هو الكتر الحقيقى ، هذا ما قضينا خمسة عشر عاماً فى جمعه ، وهناك أيضا ما يخص أجدادك ، إنها الصور التذكارية التى زاد عمر بعضها عن المائة عام ، حافظ عليها ولا تُخبر أحدا بمكانها فأنت الوحيد فى البيت الذى يعرفه "

وكأنه قد أطلق عليها وابل من الرصاصات !! ، لم تتمالك نفسها وانفجرت بالبكاء والضحك فى حالة هيستيريا ، إزداد الأمر سوءا وأخذت تضرب الأرض برأسها وتمتمت بكلام غريب لم يفهمه مروان !!

كان الأمر صعبا عليها ولكنه لم يكن أصعب من مروان الذى أخافته تلك الحركات وهذه الإنفعالات أكثر من أى شيئ كان .

إنها الحياة وإنه القدر الذى سخطى عليه يا شمس ، لقد لقنكى درسا وأعطانا نحن العبره ، فبئس مثوى الظالمين ..

****

" ما أصعب أن تفعل كل شيئ ولا تحصل على أى شيئ "

توقفت شمس فجأة ونظرت إلى مروان بعينان لامعتان كالبرق ، شعرت أنه السبب فى كل ما حدث ، هو من بنى لها قصرا من الأحلام ثم هدمه لها ، هو الجانى وليس المجنى عليه ، ستقتله إذا لا محاله .. فقد إنتهى كل شيئ !!

تناولت السكين واتجهت نحو مروان وأمسكت برقبته وما ان رفعت يدها حتى إقتحمت الشرطه المترل وصوب الجميع سلاحه نحو شمس التى كادت أن تصرع من هول المفاجأه

لم تجد مخرجا للهرب فمدت يدها الى رقبة يوسف ووضعت السكين على رقبته ثم صرخت قائلة :

- " اللى هيقرب منى هموته "

إرتجف مروان من الخوف ، والشرطىّ كذلك ، فهما يعلمان أن شمس لن تتردد فى تنفيذ تهديدها إن إقترب منها أحد .. كيف لا وهى من قتلت ستة أشخاص فى عشرة أيام !!

أرادت تعقيد الأمر فاقتربت من الشرفة وهددت بأن أى خطوه للأمام تعنى ان تلقى بنفسها هى ومروان من الشرفه .. وأضافت " أنا مش عاوزه أعيش "

إزداد الأمر صعوبة على الشرطى الذى يعلم علم اليقين أن شمس لن تتوانى فى تنفيذ تهديدا . فأمر القوات بالتراجع وأخلى لها الطريق للخروج الأمن !!

كان إختبارا صعبا على الجميع فلا يوجد حل أخر إلا السماح لها بالرحيل حفاظا على مروان ، لكن القدر كان قد رتب شيئا أخرا لن تنجوا منه شمس !

تذكر الضابط أحد الدروس التى تعلمها أثناء دراسته فى كلية الشرطه وبالتحديد فى مادة " علم الجريمه " فى الفقره التى تتحدث عن الرهينه والتى تقول :

" إذا أردت شلّ المجرم فعليك شلَ الرهينة أولا "

إستفتى قلبه فأفتاه ، وضع إحدى طلقات الخرطوش ثم صوب المسدس نحو قدم مروان وأطلق طلقة منه على قدمه ليسقط على الأرض صارخا من الوجع

كان تَفهُم الأمر صعبا على الجميع ، شمس ومروان والعساكر المتواجدين فى المكان ، ظنوا أنه قد أخطأ التصويب أو فقد عقله ، لكنهم كانوا على يقين أن شيئا ما خاطئاً قد حدث !!

حاولت شمس سحب مروان لكنها لم تستطع فحاولت الركض فنادى الضابط :

- أى خطوه زياده هاضرب فى المليان

تجاهلته وأكملت الركض نحو الباب فأطلق الضابط رصاصات تحزيريه فى الهواء فما أن سمعتها شمس حتى توقفت ورفعت يدها لينقض العساكر عليها ويضعوا الحديد فى يديدها لينتهى كل شيئ !!

" لا توجد جريمة كامله ، ومهما وصل المجرم من ذكاء فلن يستطيع الإفلات من العداله " ، هذا ما قاله لها الضابط بعد القبض عليها

أما مروان فقد تم نقله إلى المستشفى لإستخراج طلقة الخرطوش من قدمه حيث أكد الدكتور أنها غير مؤثره بالمره ويمكن لمروان أن يمشى عليها بكل سهوله

فى قسم شرطة العجوزه تم حجز شمس فى زنزانة النساء حتى وصول وكيل النيابه للتحقيق معها ، وكعادة كل زوار السجن للمرة الأولى لم تسلم شمس من بطش الجنائيات ، خُدعوا فى وجهها الملائكى وفى جسدها النحيف

لم تكترث بهم وأرادت العزله للتفكر فيما سيحل بها ، وهل ياترى سيتم إعدامها أم ستأخذهم بها رأفه !؟ ، جلست فى أحد زوايا السجن ووضعت يدها على رأسها .

****

إقتربت منها إحدى السجينات تدعى " شربات " وهى زعيمة السجينات وسألتها :

- إنتى إسمك أيه يا شاطره ؟

ردت بمزاج منعدم :

- شمس العنانى

عاودت السؤال وكأنها محققة شرطه :

- منين إن شاء الله ؟

حاولت أن تتمالك نفسها وردت :

- من الشرقيه

- أحسن ناس والله
- الله يخليكى

صمتت ثم عادت لتسألها بإستخفاف :

- وإنتى جايه فى أيه يا بطه ؟؟

لم تجيبها شمس فأستفذ هذا الأمر" شربات " كثيرا ثم أرادت أن تجرحها قائلة :

- أكيد دعاره ، يعنى أمثالكوا هيجى فى أيه يعنى !!

لم تستطع التحمل أكثر فصدمتها قائلة :

- أنا جايه بتهمة القتل

صمتت " شربات " فقاطعت شمس صمتها بما نزل عليها كالصاعقة قائلا :

- أنا متهمه بقتل ست أشخاص

حل الصمت على جميع السجينات وانصرفت " شربات " من جانب شمس دون أن تنطق بكلمة واحده ، وبدا للجميع إن السجن قد أصبح له زعيمة جديده تدعى " شمس "

بعد ساعتين وصل السيد رفعت الجنايني وكيل النيابة ليبدأ التحقيق مع شمس

فى البداية بدا متذمرا بسبب إستدعائه المفاجئ وقت عطلته ، لكنهم أثلجوا صدره عندما أخبروه بإنه الشخص الوحيد الذى يستطيع التحقيق فى هذه القضيه لصعوبتها

إستدعاء شمس .. هذا أول ما قام به رفعت لحظة وصوله ، طلب كوباً من الشاى ثم باشر التحقيق مع شمس وهو على يقين أن هذه القضيه إما سرقه أو خلع ، توقع ذلك من ملامح وجهها ثم نظر إلى كاتب المحضر قائلا :

- إكتب يا ابنى " إنه فى يوم الجمعه الموافق الثانى والعشرين من فبراير تم إستدعاء المتهمه شمس مرزوق العنانى وشهرتها شمس العنانى للتحقيق ، وعند سؤالها عن أقوالها فى ... ثم صمت وارتفع صوته بالضحك قائلا :

- أنا لسه مقرأتش ورق القضيه ، هات يابنى الملف منهم لله اللى بوظوا الأجازه

بدأ القرأة بصوت مرتفع ثم إنخفض صوته فجأه ثم همس ثم صمت ثم صرخ وألقى الشاى الساخن فى وجه شمس وخلع حذام الوسط وأنقض عليها يضرب فيها كل ما رأته عينه من جسدها حتى خلصها العساكر من تحت يديه بصعوبه !!

كان ما قرأه رفعت وأثاره هيجانه هو إسم الضحية الثانيه لشمس

" عادل الشريعى " صديق عمره وربيب طفولته ، لم يره منذ مده بسبب إنشغاله ، لكنهماا قد تواعدا أن يقضيا هما وأسرتهما الأجازه فى أحد المصايف معاً .

زاده غضبا أنها قتلت جميع أفراد الأسرة ، قتلت عمته " حكمت " التى طالما كانت تحضر لهما السندويتشات أثناء المذاكره ، قتلت كل شيئ جميلا كان قد رأه يوما فى هذا البيت ، والأن الصداقة تحتم عليه أن يثائر للجميع .!

" إعتداء السيد رفعت على أحد السجينات أثناء التحقيق " هذا ما وصل إلى مكتب النائب العام ، وخوفا من إنحيازه للعواطف والأمور الشخصيه أمر بإستبعاده من التحقيق فى القضيه وتعيين السيد " محمد اللوزى " بدلا منه .

لم يستوعب السيد رفعت أنه لم يعد له دورا فى القضيه وأنه لن يستطيع الدفاع عن أسرة صديقه ..فأقحم نفسه فيها بطريقة أخرى !!

فى اليوم التالى تقدم السيد رفعت بإستقالته من منصب وكيل النيابه وقرر العمل كمحامى وموكلا لمروان ... فيما بعد سيُعرف بإسم " محامى الشعب " .!

وبعد تسلم السيد محمد اللوزى أوراق القضيه أمر بحبسها حبسا إنفراديا وقرر عدم تسريب أمر هذه القضيه للصحافه لمنع إثاة الرأى العام .. لكن الصحافة لا تعرف المستحيل وتعشق الأشياء الممنوعه .!

****

" لا فائدة من الأشياء التى تأتى متأخره ، فهى تشبه تماما

قبلة إعتذار على جبين إنسان ميت "

السبت ٢٣ فبراير :

إستيقظت القاهره على خبر المذبحه الذى شغل الصفحات الأولى فى كل الجرائد

" لا صوت يعلوا فوق صوت مذبحة العجوزه "

بهذا عنونت جريدة المساء ، أما الأهرام فقد كتبت فى صفحتها الأولى

" شمس العنانى .. قاتله من الطراز الأول "

ولم تنسى جريدة الأخبار ايضا أن تفرد صفحاتها الأولى لهذا الحدث فعنونت

" مصرع ستة أفراد من أسرة الشريعى على يد فتاه ريفيه "

رجت العاعصمه وقامت الأرض ولم تقعد ، فقد أثارت هذه الجريمه البشعه حفيظة المصريين وأمتلئت الشوارع بالغاضبين وتطور الأمر إلى مسيره عشوائيه مفاجئه زحفت بإتجاه قسم العجوزه حيث تتواجد شمس .

قتل ستة أشخاص فى عشرة أيام .. أمر كان كفيلا بإستنفار الناس حتى أصبح من الصعب السيطره عليهم .. والجميع يريدون نفس الشيئ .. " رقبة شمس "

حاول البعض إقتحام القسم لكن محاولاتهم بأت بالفشل ومع المحاولات قرر المسئولين إحتواء الشعب ببعض القرارات

إذاً لم يعد الأمر مجرد جريمة قتل عاديه فكان لا بد من إتخاذ قررات غير عاديه!

فى صباح اليوم التالى أصدر رئيس الجمهوريه قرارا جمهوريا بعقد محاكمة شمس مرزوق العنانى يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ فبراير فى تمام العاشره بميدان عابدين

أثلج هذا القرار صدور المصريين الذين كانوا فى توق لرؤية هذه القاتله التى غيرت مفهوم الجريمة فى عشرة أيام

هذا والغالب أن هذا الأمر هو سابقه تحدث لأول مره فى تاريخ القضاء المصرى ، فلم يحدث أن أقيمت جلسة المحكمه فى ميدان عام

إذا ستواجه شمس الشعب المصرى بأكمله بعد يومين !!

****

الإثنين ٢٥ فبراير :

كانت الليله التى تسبق مواجهة الشعب ، قضتها شمس صائمة عن الطعام والشراب والكلام والحركه ، تعلم انها ستسمع غدا قرارا بإعدامها لا محاله !!

كانت تكلم نفسها فى نفسها ، تصارع الذكريات حتى تتوقف عن مداعبتها ، ذكريات كذكرى حبيبها حسن

تتذكر حين قال لها يوما ما ..... لحظه !! ، حسن !!

لماذا لم يتصل بى ثانية ويسأل عن الكتر ؟

هل لم يعد مشتاقا إلى لدرجة أنه لم يفكر فى زيارتى بالقاهره !؟

من أين حصل على رقم منزل الدكتور عادل الشريعى ؟؟

ولماذا إمتنع عن الإتصال بى تحديدا بعد موت مى ؟؟ هل علم بموتها ؟؟ وكيف ؟؟ وهل كانت مجرد مصادفه أن يعود من السفر بعد مجيئى إلى القاهرة بيوم واحد ؟؟ ولماذا لم يختم حديثه أثناء المكالمتين بكلمة أحبك كما كان يفعل ؟؟

كل هذه الأسئلة كانت تقودها إلى شيئ واحد هو : حسن لم يعد من السفر ، ومن كان يكلمها لم يكن حسن !!

نزل الأمر كالصاعقة عليها وكاد رأسها أن يطير فلم تجد بد من النداء على حارسة السجن وطلبت منها التحدث مع النيابه لأمر خطير جدا

إتجهت الحارسه إلى مكتب وكيل النيابه وأخبرته بالأمر فهلع إلى زنزانة شمس وسمع منها ثم إنطلق إلى مكتبه وأتصل بالنائب العام يطلب منه تأجيل جلسة المحاكمه لحين إستكمال التحقيق فى المستجدات

كان من الصعب تأجيل قرارا جمهوريا إلا بقرار جمهورى مثله ، وبناء عليه إتصل النائب العام بمكتب رئيس الجمهوريه وأبلغ بالأمر لكنه رفض تأجيل جلسة المحاكمه بدعوى عدم إثارة الشعب الذى هيئ نفسه لجلسة الغد فأبلغ النائب العام السيد محمد اللوزى برفض الجهات السياديه للتأجيل

كانت الساعة الخامسه مساء .. فلم يجد مفراً من الذهاب بنفسه إلى مركز بلبيس لتقصى الأمر وعند وصوله فى السابعه قام بالتأكد بنفسه من عدم عودة حسن وبالإستقصاء وسؤال البقال الذى كان يتم الإتصال من عنده تبين أن المتصل بشمس هو ذاك الشخص الذى أدخلها لهذا البيت تحديدا وهو من اقترح عليها السفر للقاهره ولم يقاسمها راتبها . إنه عمها مسعود !!

صُعقت شمس من هذه المفاجأه ولكنها فرحت فى نفس الوقت ، صُعقت من ذاك الإنحطاط الذى وصل إليه ذاك الشخص الذى من المفترض أن يكون فى مقام والدها ، وفرحت أن حسن لم يُصبح شخصاً سيئا كما ظنت .

****

الثلاثاء ٢٦ فبراير :

أشرقت الشمس ببطء على القاهره ، هذه هى سمة الإنتظار والمنتظرين ، يأتيهم ما يريدونه زحفا ، ومن فى القاهرة لم يُعد نفسه لحضور محاكمة شمس !

كل شيئ كان ممهدا لبدء المحاكمه ، فقد تم نصب منصة القضاة ولم ينسوا أيضا ذلك القفص الصغير الذى ستوضع فيه شمس !

إمتلاء الميدان عن أخره فى التاسعه والنصف صباحا أى قبل بدء المحاكمه بنصف ساعه ، أما شمس فقد وصلت فى العاشرة إلا عشر دقائق ليعم الصمت المكان .!

كان وجهها الملائكى بمثابة صدمه للحاضرين ، كلهم أجذموا أن فتاة كتلك لا يمكنها قتل حشرة فكيف تقتل أسره بأكملها

بدأ التعاطف يعم الحضور وكادت القضيه أن تنقلب رأسا على عقب ، ولكن كيف ذلك ومحامى الضحيه هو السيد " رفعت الجانينى " !!

دخل القاضى فى تمام الساعة العاشره وخمسة دقاائق ثم إفتتح الجلسة قائلا :

بسم الله الرحمن الحيم

" وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون "

اللهم فأشهد أنت ورسولك أنا جمعنا المؤمنون من عبادك ليروا عملنا ، اللهم فاجرى الحق على ألسنتنا

على بركة الله تُفتتح الجلسة الأولى والأخيره من القضيه رقم ١٢٥٨٧ والمعروفه إعلاميا بـــــــ " مذبحة فبراير"

ثم قال : محامى المتهم ومحامى المجنى عليه يتفضلا للمرافعة

تقدم السيد رفعت وحده كمحاميا عن المجنى عليه ، ولم يتقدم أحد للدفاع عن شمس ، فجميع محامين مصر قد رفضعوا الترافع عنها ولو بملايين الأرض ، وكيف لا وهى من نفذت أبشع الجرائم فى تاريخ مصر

ثنظر القاضى إلى رفعت قائلا :

- فليتفضل محامى الضحية

لم يكن أحدا من الحضور يدرك معاناة السيد رفعت والأمانة الملاقاة على عاتقه بإحضار حق صديقه الحميم وأسرته ، هم أيضا لم يعلموا أنه لم يتذوق النوم أيضا طوال الليل

زاد من صعوبة الأمر ما قالته له زوجته قبل ساعة من الأن وهو يتأهب للخروج من المترل والذهاب إلى مقر المحاكمه

قالت له بإبتسام :

- دافع عن أبنائك

نظر إليها متعجبا فأستطردت حديثها قائلة :

- إجعلها عبرة لكل من تسول له نفسه سفك الدماء واغتيال أحلام الناس ، من يدرى علّ يأتى إلينا من يفعل ذلك معنا !!

ثم أختتمت حديثها قائلة : إجعلها مرافعة من أجل الله والتاريخ ..

إبتسم لها إبتسامة العهد على نفسه ..

ما أصعب أن يتذكر كل هذا وهو يقف على منصة الترافع ..

فى البدايه أراد أن يُذكر الناس بجريمة شمس فقال :

" دعونا نقف دقيقة حداد على ضحايا الغدر التى فتكت بهم تلك المجرمه "

بعدها بدأ مرافعته قائلا :

" إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع ، وإنا لفراق الرحمة من أرضنا لمحزنون ..

لا زال العقل عاجزا عن التفكير أمام تلك الجريمة النكراء التى إرتكبتها تلك الفتاة الريفيه التى لم تتعلم شيئا من الريف .! الريف يا ساده يعلم الهدوء والتأمل وحب الطبيعة وحب الناس ، فمن أين جاءت شمس هذه التى أظلمت حياة ستة أشخاص فى عشرة أيام ، من يدرى علَ كان من بين ضحاياه من ينفع الناس ويسعى فى الأرض إصلاحا !!

إنها لم تقتل الستة أشخاص فقط ، بل قتلت معهم أحلامهم وأحلام من كان سيخرج من أصنامهم ، فربما كان هذا الطبيب التى قتلته كان على موعد مع إنقاذ حياة شخص ما ، فقتلته وقتلت من كان سينقذه .. فبئس ذلك قتلا

أيها الناس : إياكم ونظرة العطف تلك التى أراها فى عيونكم ، إياكم والتفكير فى العفو عنها فقد إستحوذ عليها الشيطان ، والعفو عنها هو عفو عن الشيطان .

أيها القاضى : أظن أنك لست بحاجة إلى إستخدام ما تعلمته طيلة حياتك من قوانين ، فقط أخبر قلبك أنها قتلت ستة أشخاص فى عشرة أيام ، أخبره أنها حرمت طفل ابن أربعة أشهر من الدنيا أخبره أن الرحمة ضلت طريقها إلى قلبها ، سيخبرك حتما أن الحكم الذى يناسب جريمتها هو الإعدام "

جلس رفعت بعد هذه المرافعة التاريخيه التى رج الميدان تصفيقا لها ، وبعد أن إنتهى التصفيق وعم الهدوء الميدان بدء شخص أخر بالتصفيق منفردا بإسلوب ساخر .. إنها شمس !!

أخذت كلامه بالامبالاة .. ربما يكون فى جعبتها ما سيقلب الطاولة !!

إستفذه الأمر كثيرا فقام وكأنه تذكر شيئا ثم قال :

" تعلمون أن الله قد خلق الرحمة وجزّءها مائة جزء ، وأنزل منها جزء واحدا على الأرض ، أظن أن هذه المجرمه ليس لها نصيب من هذا الجزء ، بالنيابة عن موكلى السيد مروان عادل الشريعى أطالب بتوقيع أقصى عقوبة على تلك المجرمه وهى الإعدام فى ميدان عام ، لتكون عبرة لمن لا يعتبر "

رج الميدان مرة أخرى بالتصفيق بينما جلس السيد رفعت بجانب مروان وداعب شعره بيده وكأنه يقول له

- " لا تقلق .. فسأحضر لك حق أسرتك "

فى هذه الأثناء طلبت شمس التكلم لأول مره منذ القبض عليها ، ولسان الجميع :

" مهما قالت فلن تستطيع الإفلات من حكم الإعدام "

لكن فضول القاضى وتشوقه إلى سماع ما تود شمس قوله كان حضرا ، فأذن لها بالحديث ، فقالت بعد أن إبتلعت ريقها :

" لم أتكلم كى أطلب منكم تخفيف الحكم أو العفو عنى وإنما كل ما أطلبه منكم هو أن تبذلوا قصارى جهدكم حتى لا يكون هناك شمسُ أخرى فى يوم من الأيام

أنا شمس مرزوق العنانى ، وُلدت بقرية بنى منصور بمحافظة الشرقيه ، لم أرى أبى يمشى على قدميه كالبقيه ، فقد بترت ساقه قبل ولادتى بشهرين ، وهكذا ضاع دور الأبوة ، والدتى ماتت وأنا فى الخامسة عشر وهى تلد أختى الصغرى ، وهكذا ضاع دور الأمومه ، سافر أخى مع الشخص لذى أحبه إلى الخليج ولم يعودا حتى الأن ، ولا ندرى أهم على قيد الحياة أم لا !!

السعادة .. هى الكلمه التى يتعثر لسانى عند النطق بها ، كيف لا وأنا لم أشعر بها يوما من الأيام

أيها الشامتون والكارهون والمطالبون بإعدامى ، يا من جئتم اليوم لتملئموا عيوانكم بالنظر إلى شمس الجانيه ، لماذا لم تأتوا قبل عقد من الأن لتروا شمس المجنى عليها !!

أيها القاضى : من حقى الدفاع عن نفسى ومن حقك إصدار الحكم المناسب ، لكن ليس من حق التاريخ تشويه صورتى فى أعين الأجيال القادمه

أيها التاريخ : سجل عندك أن الظلم والجهل والفقر والقهر قد يحولان المجنى عليه إلى جانى والمظلوم إلى ظالم

أيها القاضى : إن كنت حقا مجرمه وأستحق الإعدام فإننى أود أيضا محاكمة شركائى ومن دفعونى إلى إرتكاب تلك الجرائم !!

تعجب القاضى من قولها فأكملت كلامها قائلة :

أطالب بمحاكمة كل المسئولين فى كافة المناصب الإداريه والسياديه فى البلاد ، ووضعهم فى قفص الإتهام بتهمة قتل شعب .. لست أرغب فى أكثر وشكرا "

رج الميدان بعاصفة من التصفيق وعمت الفوضى المكان ورددت الجماهير هتافات مؤيده لكلام شمس ولم يستطيع القاضى السيطره على الميدان إلا بعد تدخل قوات فض الشغب .. ليعم الصمت المكان مرة أخرى .

وجد القاضى نفسه فى موقف حرج من طلب شمس المفاجئ ، زاد من إحراجه موقف الجماهير الموجوده التى أيدت شمس .. فكان لا بد من قرار شجاع ، لا يأخذه إلا قاضٍ شجاع

****

" الأمل .. تلك هى الكلمة التى عجز الجميع عن فك تلاصم حروفها ومعرفة سرّ إنشغال الناس بالبحث عنها "

بعد المداوله خرج القاضى على الشعب ليلقى الحكم الذى إنتظرته الملايين سواء المؤيدين لإعدام شمس أو المعارضين لذلك ، وكان نص القرار كالأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم

(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ..

بعد سماع أقوال الشهود والنيابه ودفاع المجنى عليه وبعد أن تيقنت المحكمة يقينا لا يحتمل الشك أن المتهمه شمس مرزوق العنانى قد سعت فى القتل مع سبق الإصرار والترصد لكلا من :

١- مى عادل الشريعى ١٤ سنه

٢- يوسف عادل الشريعى ٢٠ سنه

٣- عادل الشريعى ٤٤ سنه

٤- مريم الشريعى ٣٨ سنه

٥- نادر عادل الشريعى ٤ أشهر

٦- حكمت عيسى الشاعر ٧٦ سنه

وهى فى كامل وعيها وقواها العقليه ومدركة تماما أنها مقدمة على جريمة نكراء يحاكم عليها الشرع والقانون ، قررت هيئة المحكمه بالإجماع :

" إحالة أوراقها إلى فضيلة المفتى " وبما أن المفتى كان من ضمن الحضور اليوم فقد تم عرض الأمر عليه وكان رده صريحا لا يحتمل التأويل حيث قال :

تُعدم ، ولا توبة لها لقول الله تعالى :

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) إلا أن يتغمدها الله برحمته

وبناء على ما تقدم فقد قررت المحكمه إعدام المتهمة شمس مرزوق العنانى شنقا ..

هاج الجميع حتى إستعصى على القاضى أن يميز إذا كان هذا الهياج تأييدا للحكم أو معارضه ، لكنه طلب من الكل الهدوء ليكمل الحكم وأردف :

هذا فيما يخص صاحبة الجرم الأصغر، أما بخصوص صاحبة الجرم الأكبر فطوال المدة التى قضيتها فى القضاء وأنا أرى ضحاياها وقد كثروا ، أرى أنها المورد الأول للفساد والداعى له .. إنها الدوله .

بإسم السلطة القضائية التى أمثلها وإستخداما لسلاطاتى التى منحها ليا الدستور أطالب بتوقيف السيد / محمد حسنى مبارك " رئيس الجمهوريه " ومنعه من السفر والتحقيق معه بتهمة إهمال الفقراء و التستر على الفساد والمفسدين وخيانة الأمانه

وكأن الحاضرين لم يسمعوا شيئا أو أن أذانهم لم تستسغ الكلام فلم يكن حاضرا إلا الصمت الذى خيم على الجميع

بعد دقائق وقبل فض جلسة المحاكمه صعد إلى منصة القضاء ضابط ومعه ثلاثة عساكر واعتقلوا القاضى بأمر مباشر من رئيس الجمهوريه بتهمة إهانة الدوله التى تتمثل فى منصب الرئيس

ملاء الخبر كل صحف وقنوات العالم .. أصبحت شمس حديث العالم أجمع ، فقد فعلت ما لم يفعله إلا جيفارا ونيلسون منديلا ، هى الأن بالنسبة للمصريين زعيمة الثوره التى إندلعت بسببها ، فقد طلبت ما لم يجرأ أحدا قبلها على طلبه ، طلبت محاكمة الدوله التى تتمثل فى رئيسها .

إحتواء الشعب وإنهاء الأزمه ، هذا كل ما يشغل أهل القصر الجمهورى الأن ، وأمر كهذا لن ينتهى إلا إذا إنتهت من قامت به ... هذا يعنى موت " شمس "

****

الأربعاء ٢٦ فبراير :

العاشرة مساء

خرج رئيس الجمهورية فى خطاب مفاجئ يخص قضية شمس ، مدعيا أن قضيتها قد أصبحت قضية رأى عام ، وبما أنها أثارة الفوضى فى البلاد طيلة الإسبوع الماضى وبصفته رئيس الجمهورريه والمسئول الأول عن منع الفوضى ، وإستخداما لصلاحياته قرر التعجيل بحكم الإعدام الذى صدر عليها ليكون يوم الثامن والعشرين من فبراير ١٩٩٥ (نهاية الشهر الجارى)

تلقى الشعب المصرى خبر تعجيل الحكم بصدمة كبيره ، فلم يحدث وأن نُفذت الأحكام بعد يوم واحد من صدورها ، وفى هذا تضييع حق المتهم فى الإستئناف .

الخميس ٢٧ فبراير١٩٩٥

خرج الشعب المصرى بالملايين يطالب بعدم التسرع فى إعدام شمس وأن يسير الأمر قانونيا دون تدخل من الدوله .. ولكن لم يستجب احدا

قضت شمس ليلتها الأخيرة فى الدنيا وسط بكاء السجينات وأهات الحارسات اللاوتى أحبوها خلال الإسبوع التى قضته فى السجن

صلت الظهر ودعت ربها فى صلاتها أن يغفر لها جريمتها وأن يتقبل توبتها وأن يتغمدها برحمته ، حتى دخلت عليها الحارسة وأخبرتها أن شخصا ما يود زيارتها.

تفاجئت عندما رأت الزائر .. فقد كان السيد رفعت ومعه مروان التى ما ان رأته حتى إنكبت تحت قدميه تطلب الرحمة منه ..

الأمر الذى أبكى مروان ودفعه للعفو عنها ، فإن كانت ستموت بعد ساعات قليله فلا مانع من الصفح الجميل الذى لا يفعله إلا النبلاء

سأل رفعت شمس سؤالا موجعا إلى حد ما قائلا :

- كنتى بتنامى إزاى بعد ما كنتى بتموتى واحد ورا التانى ورا التالت !؟

ردت عليه ببلاغة تُحسد عليها :

- النوم سلطان ، ونحن إعتدنا ع السلاطين الظالمه ، لذا يكون النوم ملاذا للظالمين

أعجبه ردها كثيرا ، ثم هم بالإنصراف ولكنه توقف وكأنه تذكر شيئا قائلا :

- أنا عارف إن السؤال دا هيتسألك بكرا ، بس أنا نفسى أسألهولك دلوقتى ، مش نفسك فى حاجه قبل ما تموتى !؟

إبتسمت له ثم قالت :

- لا شكرا ..

ثم عادت وكأنها تذكرت شيئا قائله :

- اه .. نفسى أشوف أختى شروق

كان إختبارا إنسانيا بإمتياز .. وكان على رفعت أن ينجح فى الإختبار !!

إستقل سيارته وانطلق نحو قريتها وسأل الناس عن منزل " مرزوق العنانى " حتى دله أحد المارة عليه ، فطرق الباب لتفتح له طفله صغيره كانت تمسك بكتاب ال e

سأله عن إسمها فردت : شروق

سألها عن أختها شمس فقالت : ماعرفش راحت فين ، بقالنا كتير ماسمعناش عنها

سألها إذا كانت ترغب فى رؤيتها ؟؟ ، فهزت رأسها بما يفيد القبول

إنطلق بعد أن أخذها قاصدا السجن ، كان يسارع الزمن ، فما أجمل أن تدخل السرور على قلب شخص سيغادر الحياة بعد قليل ..

وصل فى الثامنة صباح يوم الثامن والعشرين من فبراير .. أخر أيام شمس فى الحياة ، وكانت الزيارة قد منعت عنها ، لكن بفضل علاقته الجيده مع مأمور السجن سمح له بالدخول بشرط أن لا تطول الزياره

كانت شروق تسأل رفعت عن سبب تواجدها فى هذا المكان ، وهل يعقل أن تكون شمس هنا ؟؟

بدأ الشك يتسلل إليها ولكن دخول شمس عليها أنهى كل شيئ ، ترك رفعت الأختان معا وأغلق عليهما الباب وخرج ينتظر فى الخارجا

لم يكن لقاء عاديا بعد طول فراق ، بل كان لقاء غير عادى أعلن عن بدء الفراق ، فراق أمدى سيطول .. بل سيستمر .

ما أصعب أن تودع إنسان وانت تعلم أنك لن تراه مرة أخرى !! ، بل إن أمل اللقاء مرة أخرى هو ما يهون أية غربه مهما طالت !!

إحتضنا بعضهما دون كلام بينهما ، حرارة الإحتضان أفصحت عن كل شيئ ، وصلت الرسالة إلى شروق واضحه لا تحتاج التفسير " هذا هو اللقاء الأخير "

إنتهت الأحضان لتبدأ الأحزان ، أعطتها كل شيئ ملكته فى هذه الحياة ، أعطتها عمرها التى قضته لها كأم ، أعطتها حنانها التى حُرمت منه .. أعطتها الحياة

دخل رفعت ونظر إلى شمس التى فهمت أن الزيارة قد إنتهت ، وحياتها أيضا قد إنتهت ..

أخذ رفعت شروق وغادر ، أما شمس فقد أخذها السّجان إلى غرفة الإعدام ، نطقت الشهادتين وقرأت شيئا من القرأن ثم نظرت إلى المكلف بإعدامها وكأنها تقول له أنها مستعده للموت !!

غمى السّجان رأسها بعد أن نظرت شمس نظره أخيره للدنيا ، ثم وضع السجان الحبل على رقبتها وأوقفها على الكرسى واستعد للتنفيذ، كانت الساعة العاشرة من صباح الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٩٩٥

أشار الضابط المراقب بيده للسجان المكلف بتنفيذ الحكم وكان يدعى جمال الكيلانى " عشماوى " ، فوضع يده على الكرسى ثم سحبه مرة واحده لـــــــــ .....

فى هذه الأثناء إستيقظت شمس من النوم على صوت مسعود وهو يقول :

- يالا يا بنتى علشان القطر وصل ، معلش إتأخرت عليكى

نظرت شمس إلى مسعود فى تعجب شديد وهى تحاول فتح عينيها ثم قالت :

- أنا فين ؟؟ هو النهارده كام فى اشهر

رد مسعود متعجبا من سؤال شمس :

- كام إزاى ؟؟ ؛ النهارده واحد فبراير يا شمس ، إنتى كنتى بتحلمى ولا أيه !!

ردت وقد إرتسمت البسمة على وجهها :

- يعنى أنا مسافرتش ولا إشتغلت ؟؟ ولا قتلت ولا إتعدمت ؟؟

رد مستفهما :

- قتلت ايه واتعدمتى ايه ؟؟ ، فوقى يابنتى وقومى بينا نلحق القطر ..

همت بالرحيل وهى تقول :

- لا أنا مش هسافر ومش هاسيب البلد ومش هانزل القاهره ومش عاوزه فلوس
- ليه يا بنتى ما انتى كنتى وافقتى

لم تجبه ثم إنطلقت إلى منزلها وهى فى قمة السعاده ..

إذاً كان كل هذا حلما !! ، فقد نامت وهى تنتظر القطار ، لم تسافر إلى القاهره لم تقتل أسره كامله ، لم تُسجن ولم تُعدم !!

ما أروع القدر الذى يلقنك درسا موجعا دون أن تتوجع منه ، يعطيك جرعة الألم التى لا تشعر بها .. صفعها صفعة قوية فى نومها ، ثم مد يده لها فى الواقع ليساعدها .. كم أنت رائع ايها القدر (هذا هو لسان حالها)

عادت إلى المنزل وأحتضنت أختها شروق بعد شهر من الغياب فى عالم الأحلام وساعتين فى الحقيقه ، لم تدرك شروق هذا الأمر ..

أراد القدر أن يمنحها قدرً أكبر من السعاده ، فإذا بالباب يدق ليدخل أحد أطفال القرية صارخا :

- شوقى وحسن رجعوا من الخليج ... شوقى وحسن رجعوا من الخليج

إندفعت نحو الباب وجرت نحوهما وأحتضنتهما أيضا ، كانا محملان بالهدايا وألعاب الأطفل

سألت شوقى عن سبب الغياب دون إتصال فأجاب :

- حسن هو اللى قال كده ، قال مش عاوزين نتصل بيهم ولا نكلم حد إلا لما نحقق ذاتنا الأول ، وفعلا يا شمس ، إحنا إشتغلنا وجيبنا فلوس كتير الحمد لله وهنفتح مشروع كبير هنا فى البلد

إحتضنته ثم إنطلقت نحو حسن ، عانقته عناقا حادا ثُم ذهبا إلى أحد المحلات واشترى كلا منهما علبة لبان كما كانا يفعلان منذ الطفوله

لم يشتروه لطعمه فقط بل لأن هذا النوع من اللبان كان يحوى ورقه بها حكمه فى كل علبه ، كانا يحبان هذا كثيرا

****

فتح حسن علبة اللبان الخاصه به ثم أخرج الورقه ، وكانت تحوى على عبارة :

" لـــــكـــــل عـــــــلاقـــــة حـــــــب زمـــــانـــــهـــا "

نعم ، فلم يكن هذا السن الذى صارح فيه حسن شمس بحبه لها هو السن المناسب ، على المرء أن يتكلم بما يستطع تنفيذه ، لا تعد إنسانا بشيئ أنت لست أهلا له ، وفى الوقت نفسه لا

تكتم شيئا بداخلك ، إن أحببت فصارح ، وإذا كرهت فاهجر وإياك والإخفاء أو النفاق ، لا أدرى لماذا يحب الشخص ويكتم فى نفسه !! ، أوليس من الممكن أن يموت فى حادثه من حوادث الطريق التى كثرت ، أوليس من الممكن أن ينتهى عمره قبل أن يبوح بما يكتمه قلبه ، لكن هناك فرق بين الحب وعلاقة الحب ، الحب هو ذاك الشيئ الجميل الذى يُضاعف السعادة للبشر دون إتفاق بين طرفى الحب ، أما علاقة الحب فهى ذاك الإتفاق بين طرفين ، ذاك الإتفاق المعرض دائماً للفشل ، لذا عليك أن تحب دون أن تقيم علاقة الحب ... (هكذا حدثه عقله)

أما شمس فقد جاءت ورقتها بما كان عليها أن تفعله فى حلمها ، ليس هى فقط بل الجميع عليه أن يحيا لأجل هذا ، كان فى ورقتها

" عشّ حياتك بحب وصدق وأمل ، فالحياة أيام عمر ينقضى "

وأثناء العودة إشترت جريدة الأهرام ، أمرٌ أحبته فى الأحلام ، لكنها كانت على موعد مع الصاعقة فى هذه الجريدة ..

وجدت فيها ما طيّر لها عقلها إلى حد الجنون ، وجدت فيها ما دفعها إلى التفكير فى أمور مستبعده كالقرين مثلاً ، أو السير نوما ، أوالأحلام الإستباقيه !!
لقد كان عنوان هذه الجريدة هو :
" مقتل أسرة الدكتورعادل الشريعى فى سلسلة حوادث غامضة بالعجوزه .! "

**** تمت بحمد الله ****